فوچیتا

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : 010003288596

بريد إلكتروني : Dream.pen92@gmail.com@yahoo.com

فوچيتا

سمر

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٩م

غلاف : عمار جمال العبد

التصميم: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ؟؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-4

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

فوچيتا

رواية

سمر

إهداء

أهـدي قصـص مجموعتـي القصصيـة الأولـى إلـى أبطالهـا النبلاء،

الذين ستجد نفسك أحدهم بلا شك.

سمر

إلى النبلاء في حياتي..

أبـي وأمي لحرصهـم على غرس حـب القراءة في نفسـي منذ نعومـة أظافـري، وإثـراء عقلـي بكتب كبـار الأدباء في شـتى المجالات،

روح شـقيقتي الصغـرى دينـا رحمها الله، الغائبـة الحاضرة، المتواجـدة فـي حياتي دائمًـا؛ والتي لولاها ما خطـوت إلى مجال الكتابة،

أفـراد أسـرتي الكرام الذين سـطر كل منهم سـطرًا حيويًا ورئيسيًا في حياتي،

الكاتـب الكبيـر الدكتور/أيمـن الجنـدي لإيثـاره وفضله بنشر قصص الموهوبين من القراء في عموده الصحفي «الكثير من الحب بجريدة المصري اليوم»،

السـادة القـراء الكرام لما أبدوه من دعم وتشـجيع لقصصي القصيرة الأولى،

و....أسـرة دار «دريم بن» للنشـر والترجمة لمـا أبدوه من تعاون تـام، ودعـم فنـي وتقني أثنـاء مراحل الإعـداد؛ حتـى يخرج هذا العمل إلى النور لائقًا بأياديكم الكريمة.

شكرًا جزيلًا لكم جميعًا.

سمر

مقدمة

لا ينفصل الأدب أبدًا عن الحياة، وإنما يكون امتدادًا لها يحاكيها ويواكبها بجميع أوجهها؛

وما أكثر ما في الحياة من أحداث وبطولات تستحق أن نسلط الضوء عليها نتألم لألم أصحابها ونفرح لفرحهم، نحب معهم ونلتاع معهم

ليست هذه المجموعة القصصية سوى عدسة تسلط الضوء على بطولات هؤلاء البسطاء حالًا، النبلاء مقامًا.

حياء

جالسًـا بين أبنائه، وزوجته يشـاهدون التلفاز بعد العشـاء في دفء، وحميمية؛

يلقـي أحد الأبناء تعبيرًا سـاخرًا ينقد فيه مبالغات المشـهد؛ فيتعالـى صوت ضحكاتهم، وربما لا يكـون التعبير مضحكًا لهذه الدرجة؛ لكن الضحكات تنبع من سعادتهم بجمعهم؛ وهو فرح بهـم، لايزال حاميًا وسـاندًا لعودهم الأخضر؛ حتى يشـتد، ويقوى على مواجهة الحياة.

كان دائمًـا ما يمسـك جهـاز التحكـم «الريمـوت» في يده؛ حتـى إذا ما جاء مشـهدًا عاطفيًـا، أو مشـهدًا خارجًا؛ لا يخدش حياء الأبناء أو الزوجة الذين يطرقون برؤوسـهم في الأرض حياءً حينمـا يستشـعرون مقدمات لمثل هذه المشـاهد، ويسـرع كل منهـم إلى وجهة بعيدة عـن التلفاز؛ فقد تبادر الابنة بعمل أكواب الشـاي، ويسرع الابن إلي الشـرفة يتعلل بالنظر منها على أمر ما في الشارع،

وعلـى الرغم من ذلـك يغير الأب القناة؛ فلا يصح أن يتركها؛ فيتبادر إلى ذهن أبنائه أنه شـاهد هذا المشهد الخليع، وعادة ما يغمغم بصوت خفيض مسموع «قِلة حَيْا»؛

لكـن مـا كان يُشـعِر الأب بالحيـاء فعليًـا مشـاهد الفقـرة الإعلانيـة؛ إذ يـرى بريـق المنتوجـات الفاخـرة المتعـددة التي لا

يملك أن يَقر بها أعين أبنائه -التي تتعلق بها وتتبهر لمشهدها-؛ فيتضرج وجهه خجلًا، ويتصبب عرقًا؛ وهو يشعر بقلة الحيلة أمام نظرات أبنائه؛ والإعلانات تراود عيونهم في بريق، وغواية ماجنة صاخبة مدروسة، وفي هذه اللحظة لا يملك أن يغير القناة؛ إذ بم سيتعلل، ولو غيرها مرة في وجوده فستشاغلهم في غيابه؛ كان هذا ما يعكر صفو سهرته مع الأبناء التي يجد فيها راحته يوميًا؛ على الرغم من أنه يحرم نفسه من الضروريات من أجلهم، لقد اشتكى حذائه للأسفلت من كثرة زيارات الإسكافي، وتعاطفت ملابسه معه فتستجيب لجميع حيل إصلاحها التي يقترحها «الرفا» على الأم: «نضيف جيب صغير هنا، نقلب اللياقة عشان دابت، نركب إسورة جديدة للأكمام»، وغيرها من الحيل التي يتفتق عنها ذهنه؛ بحكم خبرته وحرصه على الحفاظ على عمله.

وقفت ابنته محدقة في الشاشة في تركيز تام وهي تشاهد أحد إعلانات الوجبات الجاهزة؛ فطلب منها أن تعد له كوبًا من الشاي؛ علَّهُ يشغلها عن الإعلان؛ فأسرعت تجيب أن الشاي أمامه؛ فقال في نفاذ حيلة «أعِدي لنا ساندويتشات جبنة بالطماطم إذن نتناولها مع الشاي قبل أن يعود الفيلم»؛ توجهت إلى حيث أمرها وهي تدير رأسها ناظرة إلى التلفاز؛

لم يشعر بأي طعم للشاي أو الساندويتشات؛ إذ كان قد بلغ به الحياء من أبنائه وزوجته منتهاه؛

قال لنفسه «فتَّح مخك، مشي أمورك، إحنا بنخلص لهم ورقهم، وهم لازم يشوفونا»؛ وبدأت الفكرة التي طالما رفضها

تراوده عن نفسه، وهو يصدها؛ وشغلته تمامًا عن متابعة الفيلم الذي ينظر إليه؛ فلم يفق إلا على صوت زوجته تقول في سرعة، ودهشة مستنكرة «غير القناة إنت عاجبك ال بيحصل قدامك؟»؛ كان الأبناء كل منهم فرَّ إلى وِجهة فغير هو القناة في ارتباك قائلًا «ما أخدتش بالي، كنت سرحان»؛ فقالت الزوجة في غيرة بتأنيب متهكم «لازم عاجباك، نَسِتك نفسك» في إشارة منها إلى البطلة؛ تضرج وجهه حياءً؛ إذ كان المشهد الذي أداره خليعًا بالفعل؛

فقال مدافعًا عن شرفه «باللّه كنت سرحان»، فقالت هي «خلاص رجع الفيلم زمان المشهد خلص».

أكمل السهرة، وبات مستيقظًا يتقلب في فراشه يفكر كيف سيفتح درجه في الصباح، من الغد لن يمرر ورقة أو يوقع توقيعًا مجانيًا؛

لن يشعر بالخجل أو الحياء أمام أبنائه مرة ثانية، ولن تكسر هذه الاعلانات عينه في منزله؛

توجه إلى عمله في الصباح عاقدًا العزم على نيته، طلب من الساعي كوبًا من الشاي، وجلس مفكرًا في هم وضيق؛ ثم زفر متنهدًا وحسم أمره؛ ففتح درج مكتبه مواربًا ثم حمل الأختام التي كان قد أخرجها على المكتب منذ حضوره وأخفاها داخل الدرج في عناية، وجلس منتظرًا حضور الجمهور.

فكر في أنه يمكن أن يختفي لمدة نصف ساعة يتجول في طرقات المصلحة؛ حتى يعلم الجمهور أهميته؛ فيدفعون في

انصياع بدون فصال أو مجادلة ، والويل كل الويل لمن سيرفض الدفع؛ سيضع كل العراقيل لتعطيل أوراقه؛ حتى يرضخ ويدفع في النهاية؛

كان غارقا في أفكاره حتى رأى خيال أحدهم بجوار المكتب؛ فرفع وجهه في سرعة متسائلا؛ خجلًا من أن يكون الشخص الحاضر قد رأى أفكاره؛

فرآها تتشح بالسواد تقف هادئة حاملة ملف يحمل الكثير من الأوراق بين يديها ، وقالت في أدب ذليل «عايزة أخلص أوراق معاش جوزي الله يرحمه»؛

نظر إليها؛ ثم مد يده تلقائيًا يخرج الأختام من الدرج ويغلقه ،

ثم قال لها في تعاطف «البقاء لله ، المكتب ال جنبي يا مدام»؛ شكرته وخرجت متجهة إلى حيث أشار ، بينما زفر هو متنفسًا الصعداء أن حيائه من إنسانيته قد أنقذه من السقوط في غيابات جُب مظلمةٍ ، لا فكاك منه.

❖ ❖ ❖

رُبع ساعة

استيقَظَت بعد عدة مرات تُطفئ جرس منبه الهاتف المحمول رَغم أنه من نوع قديم يمتاز بصوته المرتفع إلّا أنها لم تستطع أن تقاوم إغواء النوم لعقلها ،

وأخيرًا أفاقت رُغمًا عنها نظرت في الساعة لتجد أنها تأخرت رُبع ساعة عن موعد استيقاظها

شهقت وهي تضرب صدرها بيدها فزعًا وقفزت من سريرها ترتدي «شبشبها» في عجالة

أسرعت توقظ أبنائها وهي تجري تغسل وجهها قبل احتلال الأبناء دورة المياه

أسرعت تعد لهم شطائر وتعد لأحدهم كوبًا من اللبن بينما الآخر لا يشربه إلا على شاي

أعدت لنفسها كوبًا من الشاي قالت لنفسها وهي تساعد الأطفال في ارتداء زيهم المدرسي «على الأقل أحتسي كوبًا من الشاي؛ لن أجد وقتا للإفطار أو حتى إعداد شطيرة لي؛ تلك الرُبع ساعة التي تأخرتها نومًا»

ناولت الأبناء الشطائر ليتناولوها وحملت شطيرتين لفتهما في كيس بلاستيكي ووضعتهما على الكومود قبالة زوجها الذي مازال نائمًا فهذا أنسب لميزانية المنزل التي لا تتحمل شراء

إفطار بينما أسرعت تبدل ثيابها في عجالة.

حملت حقائب الطفلين ونزلوا في خطوات متسارعة الدرج

أعطت كل طفل منهما حقيبته وأمسكت بيديهما في حرص وقوة وأسرعت تهرول في الشارع حتى وصلت حيث سيارات الأجرة أسرعت تصعد السيارة جلست وأجلست الطفلين في مقعد واحد ، وأعطت التباع النقود التي تحملها سلفًا في يدها قائلة «خد اتنين» قال لها التباع في غلظة وهو يشير إلى الطفلين «لأ تلاتة ، ناقص نفر» لم تكن في حالة تسمح لها بالمناهدة والشجار فحملت أحد الطفلين أجلسته على قدمها في سرعة وهدوء

مضت السيارة وهي تنظر إلى ساعتها بين دقيقة وأخرى وتلوم نفسها على تلك الرُبع ساعة التي نامتها

أخيرًا وصلت وجهتها أمسكت الطفلين جيدًا ومَضَت تسير مهرولة حتى وصلت مدرستهما أدخلتهما وأسرعت تسير بخطوات واسعة متجهة نحو المكتبة التي تبعد مسافة ثُلث ساعة مشيا مشتها في خطوات أقرب إلى العدو فيجب أن تفتح المكتبة مبكرة لتلحق بالطلبة وأولياء الأمور قبل توجههم إلى مدارسهم وكلياتهم

أسرعت تفتح بالمفتاح الذي كانت تمسكه بحرص في يدها أثناء سيرها ورفعت الباب الحديدي وأسرعت تفتح الباب الزجاجي ودلفت مسرعة تسمي باللّه وتفتح الراديو على القرآن

دلف ورائها الزبائن الذين كانوا ينظروا في الساعة متأففين وكل يقول طلباته يريد أن يمشي أولًا ولا يريد أي منهم أن ينتظر

أسرعت تحضر الطلبات في جري أقرب للمشي وتحاول أن تجمع ما يوجد في مكان واحد توفيرًا للوقت، أثناء عدوها وقعت عيناها على سجادة الصلاة تذكرت أنها لم تصلي الصبح وقفت مشدوهة للحظة ثم أكملت عدوها تنوي أن تصلي بعد انصراف المشترين،

وهي تناول هذا طلباته وتؤكد عليه ما تعطيه له وتحاسب آخر على ما اشتراه وتحضر كراس لثالث كل ذلك في نفس الوقت صاح فيها رابع «خلصيني يا أُخْتي»

احْمَرَّ وجهها في شدة ودمعت عيناها وهي تنظر له دون أن يسمح كبرياؤها للدموع بالنزول وناولته طلباته وهي تعيدها عليه متأكدة بصوت مبحوح

انتظر الثلاثة الذين كانوا يشترون قبلًا منه حتى انصرف وهم ينظرون إليها في تعاطف فهذا أقصى ما يستطيعون فعله

بعد أن انصرف قال أحدهم في صدق «معلش»

أومأت برأسها وأكملت عملها دون أي كلمة فهي تعرف أنها أخطأت ونامت رُبع ساعة زيادة

وقف أحد الاطفال منتظرًا أن تنظر له فالتفتت له بروتينية تهز رأسها ليملي عليها طلباته فتح قبضته بحبة من حبات البونبون ناولها إياها في براءة وهو يبتسم ابتسمت له بود وحنان وهي

تتناولها منه وانصرف

ظلت تحدق في قطعة البونبون بعد انصراف الزبائن،

صلت الصبح وانهمرت دموعها التي حبسها كبرياؤها من قبل ثم وقفت تدون المبيعات، والأصناف التي نفذت، ثم انطلقت إلى الرفوف ترتبها في همه ونشاط

مع قرب الظهيرة بدأت بطنها تأن جوعا تذكرت أنها لم تشرب الشاي،

الميزانية لا تسمح بشراء إفطار فهي تساهم بكل راتبها مع زوجها في ميزانية المنزل أبناؤها أولى بالنقود التي ستدفعها في الإفطار

تشاغلت عن جوعها طوال ساعات العمل حتى حان موعد انصرافها فانتظرت رُبع ساعة حتى تعوض تأخيرها حتى لا يتلوث راتبها بقرش حرام؛

علقت عينيها بالساعة حتى مضت الرُبع ساعة مضت تهرول تحضر الأبناء من المدرسة وما أن وصلت المنزل حتى طوحت حذائها في سرعة وغسلت يدها وجرت على المطبخ بملابس الخروج تخرج بعض الأواني من الثلاجة تضعها على الموقد وتشعل عيونه وتخرج إناء فارغ تضعه على النار لإعداد «الرز» الذي يجب أن يكون طازجًا فزوجها لا يتذوقه «بايت»

مدت يدها تتناول كوب الشاي الذي أعدته صباحا ألقت مافيه وغسلت الكوب وهي تزفر متنهدة

عـاد الزوج من العمـل ألقى نظرة على المطبـخ تحولت لتجهم حين اكتشف أنها لم تنهِ إعداد الطعام؛

تجنبته وتجاهلت تجهمه فهي التي أخطأت بالنوم رُبع ساعة

انتهـت أخيرًا مـن إعداد الطعام الشـهي وضعته على السـفرة وهـي تلتقط أنفاسـها لأول مرة منذ الصباح قـال لها الزوج «كل هـذا التأخيـر لمجرد إعـداد هذه الأصناف التي لا تسـتحق كل هـذا الوقـت؟!»؛ مدت يدها تتجرع الطعام الـذي فقد كل طعمه بعد تعليق الزوج

أنهت الأسرة طعامها أسرعت هي تحمل الأطباق تفرغ ما فيها وتغسلها وتضع ما يحتاج الوضع من الطعام في الثلاجة وهي تتابع إعداد الأبناء لواجباتهم من موقعها في المطبخ

أخرجـت الملابـس من الغسـالة وأسـرعت تقوم بنشـرها ولَمّ الملابس التي جفت من اليوم السابق

أسرعت تقوم بكـيّ الملابس وتطبقها وعينيها على الساعة

صاحـت بالأبنـاء الذيـن يتشـاجرون علـى اللعب ببرايـة القلم الرصاص

أسـرعت تحضر المكنسـة تقـوم بكنس الشـقة وهي تلهث وتتصبب عرقًا

ثم أسرعت إلى الطفلين تراجع ما كتباه في الواجب وهي تعد لهما طعام العشـاء أثارها خطأ الصغير في الطرح لليوم الخامس تمسـكت بهدوء ظاهري وجلسـت تعيد شـرحه لـه وعينيها على

الساعة وأخيرًا انتهى الصغيران من المذاكرة

وضعتهما في سريرهما ثم انطلقت تجري إلى المطبخ تغسل أطباق العشاء وتعد غداء اليوم التالي وعينيها على الساعة

أخيرًا جلست وهي تحلم بكوب من الشاي الساخن ترتاح معه توجهت عينيها إلى الساعة فوجدت أنها تأخرت عن ميعاد نومها لمدة رُبع ساعة وستنام فقط ثلاث ساعات ورُبع بعد خصم الرُبع ساعة التي تأخرتها كل هذا بسبب رُبع ساعة نامتها بالأمس في حمق

أطفأت التلفاز حيث كان برنامج يستضيف أحد هؤلاء الذين يتحدثون عن فن إدارة الوقت ولم تجد في كلامه ما يدير وقتها فهي لا تذهب إلى النادي أو الكوافير وليس لديها اشتراك «إنترنت» ، إذن خطواته للانتفاع بهذه الأوقات لن تجد في بيتها ملاذًا

أطفأت التلفاز وهي تخرج قطعة البونبون من حقيبتها نظرت إليها في امتنان وقد قررت أن تحتفظ بها للأبد دون أن تأكلها

ضبطت منبه هاتفها المحمول وهي تؤنب نفسها على الرُبع ساعة التي سببت لها كل هذا الجري والألم طوال اليوم وغفت عينيها وهي تنظر إلى الساعة وتحذر نفسها من الاستسلام لغفوة الرُبع ساعة.

❖ ❖ ❖

بالون

وقـف خالد ينفخ في يديه ويفركهما ببعض؛ التماسًـا للدفء وهـو ينظر إلـى واجهة محل تجاري أعلن عن خصومات بمناسـبة حلول الشتاء.

أحكم غلق ياقة قميصه وهو يرفع ياقة «البلوفر» عليها؛ علَّها تقيه تسلل لفحات الهواء الباردة التي تصيبه بقشعريرة واضحة،

وقـف يختار من بين المعروضات «جاكيـت» يحتاج إلى دفء وجوده فوق ملابسـه الخريفيـة، اختار من بين المعروض الأكثر دفئًا بالنسبة للمبلغ الذي خصصه لهذا الغرض،

تأكـد من اختيـاره؛ ثم دلـف إلى المحل سـأل البائع عن السـعر والمقاس المناسب له؛ فأكد له البائع السعر وأن مقاسه متاح لديهم،

أمسـك بذراع البائـع قبل أن يحضر المعطـف؛ مُوضحًا له أنه سيحضر شيئًا ما أولًا ثم يأتي ليشتريه.

خرج من المحل مطمئنًا يدلك ذراعيه بيديه وهو يواجه موجات الهواء الباردة التي تقابله؛ توجه إلى محل ذهب وقف أمام واجهته الزجاجية اللامعة مبتسـمًا وهو ينظر إلى خواتم الخطبة مصطفة بعنايـة في عُلبها الأنيقة، نسـي إحساسـه بالبـرد؛ وهو يتخيل أي خاتم منهم أنسب ليد حبيبته الرقيقة، وأخذ يفكر تُرى أي منهم سيعجبها أكثر؛ كان وجهها مرسومًا في عينيه وهو ينظر لكل خاتم منهم،

أخيـرًا اسـتقر علـى خاتـم رأى أنه هـو الأجمل، والـذي يليق بحبيبته؛ والذي ولابد سيعجبها؛

ابتسـم في سعادة ودخل في لهفة إلى المحل الذي كان البائع بداخلـه يتابعه مـن خلف الزجاج، اسـتقبله البائع فـي ود تجاري تمـرس عليه حتـى أصبح طابعًا له، قال له في حسـم «أريد خاتم خطبة»؛ أحضر البائع العلبة الثمينة، وأشـار هو إلى الخاتم الذي وقـع اختياره عليه؛ ناوله البائع إياه وهو يقول مبتسـمًا «مبارك إن شاء الله»؛

أجـاب مباركتـه وهو يتحقق من شـكل الخاتـم عن قرب ثم ابتسم لتأكده من اختياره،

اختار المقاس الذي ظن أنه مناسـب لمقاس يد حبيبته، وزنه البائع، وأخبره عن السعر؛

هز رأسه موافقًا وهو ينظر إلى الواجهة مرة أخرى؛ وجد حرف من الحروف التي تزين السلاسل على شكل رمز «إلى ما لا نهاية»

لقـد رأى صورتـه من قبـل على صفحـة حبيبته علـى «الفيس بـوك»؛ ابتسـم في فرحة وقـال للبائع «أريد سلسـلة وهذا الحرف أيضا»؛

أطاعه البائع وأحضر القطعتين ووزنهما، ثم أخبره عن السعر؛

تحولت ابتسامته لتجهم؛ إذ يفوق السعر المبلغ الذي جمعه من عملـه يوميـا بدون إجازات لمدة ١٤ سـاعة يوميًا؛ فكر لبرهة ثم سأل البائع «كم سعر الحرف وحده؟»؛

أجابه البائع بالسعر؛ استعاد ابتسامته وهو يهز رأسه موافقة؛

لـفَّ له البائع الخاتم والحرف في علبتين أنيقتين، وهو يبارك له؛ ابتسم ولمعت عيناه في سعادة وهو يرد على مباركته، ويتناول الحقيبة الأنيقة من البائع، ويدسها في جيبه في حرص وإحكام.

خرج من المحل؛ فاستقبلته النسمات الباردة تحتضنه وتبارك له؛ أجابها برعشة برودة في جسده، وهو ينفخ في كفيه في حركة تلقائية؛ آملًا أن تبعث أنفاسه فيهما بعض الدفء فينتقل منهما إلى باقي جسده.

مرَّ أثناء سيره بالمحل الذي يعرض الجاكيت؛ فنظر إلى الجاكيت مودعًا وهو يقول لنفسه في أمل «ربما في يوم آخر»؛ وابتسم منصرفًا.

اتجه مبكرًا إلى حيث اتفق مع حبيبته أن يلتقيا، وقف ينتظرها في لهفة، وهو يتحسس جيبه ليطمئن على وجود مفاجئته التي يعمل بكد؛ ليعدها لها،

ابتسمت عيناه في فرحة؛ لقدومها الذي خفق له قلبه، وابتسمت هي في حياءٍ فَرِح عندما رأته، ثم وجهت أنظارها نحو الأرض؛ تداري خجلها من المارة.

تقدمت منه وهي تقول بابتسامة «رَغم أني حضرت مبكرة، إلا أنك سبقتني»؛

أجابها في بساطة «خشيت أن تأتي مبكرة؛ فتقفي لتنتظري أنتِ»؛

أسعدتها إجابته؛ لكنها قالت في خوف عليه «لكن الطقس شديد البرودة»؛

أجابها على الفور «هذا أدعى لحضوري قبل أن تأتي أنتِ»،

لم تستطع منع ابتسامة الحب التي ارتسمت حيية على شفتيها، فبالرَغم من خوفها عليه؛ إلا أنه قد أسعدها منطقه الذي لم يكن مفاجئًا لها؛ فعهده دائما هو الإيثار، وإن كان هذا طبعه مع الجميع، فمعها هي يتضاعف الأمر، يؤثرها على نفسه دائما بدون أي تفكير أو تردد.

سارا جنبًا إلى جنب تفصلهما بضعة سنتيمترات، ولكن قلبيهما كانا متعانقين؛

مشيا يتحدثان في فرحة، بينما يشاهدان المعروض في واجهات المحلات؛ يعجبهما هذا، ويضحكان على ذاك الذي يمتلئ بعيوب شكلية وصناعية،

كان حديثهما دائما مَرِح لا ينقطع.

وصلا إلى كافيتريا أحد «المولات» الكبيرة جلسا يحتسيان مشروبا دافئًا،

قالت له بابتسامة «تبدو فَرِحًا كثيرًا اليوم»؛ فقال مبتسمًا «أنا دائمًا فَرِحًا لرؤياك»؛

اتسعت ابتسامتها واحْمَرَّ وجهها خجلًا، وقالت له «لكنك اليوم تبدو أكثر سعادة»؛

أخرج العلبتين الأنيقتين من جيبه فتحهما أمامها مبتسمًا، وعيناه تتابعان فرحتها بسعادة؛ لرؤية مفاجئته، قال لها في سعادة «حلمت كثيرًا بهذه اللحظة»،

كانت سعادتها أكبر من سعادته وهي تنظر للعلبتين في فرحة ارتسمت في عينيها وعلى شفتيها، سألها «متى يمكن أن

أقابل والدك وأطلب خطبتك؟»؛

هربت عيناها منه حياءً، وهزت كتفيها قائلة بابتسامة «سأجعل أمي تسأله»؛

ابتسم وهمَّ أن يقول شيئًا ما؛ لكنه فوجئ ببالونات ملونة تنهمر من الدور العلوي «للمول» تهبط إلى حيث الدور السفلي وكأنما تمطر السماء بالونات ملونة؛

اتجهت أبصار الجميع إلى البالونات، وهبوطها المتهادي، بالتزامن مع نزول لافتات من ذلك النوع الدعائي تحمل صورة فتاة وكُتِب أسفلها «تتجوزيني»؛

حيث وقفت في منتصف القاعة الفتاة صاحبة الصورة تبتسم وشاب يجلس منحنيًا أمامها على إحدى ركبتيه، ويقدم لها علبة تحتوي خاتم خطبة، بينما يقوم أصدقائه بتصوير الموقف بكاميرات هواتفهم المحمولة بالاتفاق معه لينشرها على صفحته على الفيس بوك؛ بالإضافة لقيام بعض المشاهدين من الجمع بالتصوير.

كانت أنظار الجميع تتجه نحو الشاب وفتاته؛

بينما اتجهت أنظار خالد إلى حبيبته الجالسة أمامه تنظر في انبهار للموقف الذي أمامها وقد استغرقها تمامًا؛

فصفق مع الجمع المحتشم، ثم انحنى على الأرض، والتقط بالونًا قدمها لحبيبته في نظرة انكسار.

❖ ❖ ❖

اللعنة

«بيييب بيييييييب»

تناهى صوت نفير أبواق السيارات عاليًا مختلطًا بصوت «مواتيرها» إلى عبد المقصود الذي كان قد انتهى من تقطيع ثمرة طماطم يضيفها إلى الجبن القديم مع بعض أعواد الجرجير، وشرع في نثر بضعة قطرات من الماء إلى قطعة خبز كسرها من رغيف؛ لتعيد إليه بعض من نضارة شبابه حين كان طازجًا قبل أيام؛

فنثر عبد المقصود ما تبقى من ماء في يده، وجذب جلبابه المعلق على مسمار صَدئ في الحائط يرتديه في عجالة، وخرج من داره تبحث عيناه عن ضوء السيارات ثم اتجه إلى وجهتها مُطيلًا خطواته مسرعًا يحركه فضوله؛ حتى وصل إليها ينظر إلى حمولتها من أثاث، وفرش وثير، وأجهزة كهربائية علم طبيعة عمل بعضها بينما جهل أكثرها؛ فتساءل مع نفسه «أهو فرش عروس؟»؛ لكن من؟؛ لا يعلم عروسًا في قريتهم يستطيع أباها أن يُحضِر مثل هذه الأجهزة والمفروشات الثمينة، ولا يوجد بين عرسان قريتهم من هو بمثل هذا الثراء، ثم إن فرش العروس يزفه أهلها وسط الزغاريد والمزمار وليس في مثل هذا الهدوء الذي يقطعه نفير أبواق السيارات لبعضها، أو لعابر يمُر

«مِسا الخير يا رجالة» ألقى عبد المقصود التحية في عفوية

بلا اكتراث على الجمع الذي سبقه إلى الموقع من أبناء قريته؛ فمن النادر أن يحدث في قريتهم ما يكسر هدوء وروتين الأيام؛ فكل يوم هو يوما عاديا مثل أي يوم في قريتهم الصغيرة التي تسير فيها الأيام متشابهة روتينية، وكأن الحياة فيها يوم واحد تتكرر أحداثه كل يوم وإن تغير الأفراد، مثل لعبة الكراسي الموسيقية فلابد أن يتزوج أحدهم يومًا، وينجب آخر يومًا، ويموت أحدهم يومًا؛ لذا كان حدث مثل هذا بمثابة حجر يُلقى في مياه حياتهم الساكنة.

شرع العمال في انزال ونقل حمولة السيارات في حرص، ونشاط يتصايح بعضهم ممن يريد أن يرحل في سرعة من السائقين من آن لآخر «الهمة يا رجالة»؛

فيتعالى صوت أحدهم مجيبًا «على مهلكم إوعوا حاجة تتكسر البيه كان يعرف شغله معانا» فيبدو من حرصه أنه من عمال البيه الذي يتساءل الواقفون من أبناء القرية عن كينونته،

ولم تمر سوى بضعة أيام حتى هلَّ القادم على القرية بهيبته التي صنعها ثراؤه، وعدم معرفتهم به اللّهمّ إلا بضعة إشاعات تبرع بها بعض أبناء القرية من مدعي العلم ببواطن الأمور فيهمس أحدهم للجمع أمامه «آني سمعت إنه بيه كبير في البندر اشترى العزبة من ولاد صاحبها عشان هيهاجروا بلاد برة»؛

فيجيب آخر ممن يريد أن يستأثر بالمشهد «سمعت من مين يا ولا؟»؛ «آني سمعت إن البيه سابها له رهن عشان يسد خسارته في القمار»؛

فيمصمص عبد المقصود شفتيه في حيرة أيصدق هذا أم ذاك؟.

لم يطل الوقت حتى كسر البيه سياج العزلة حوله، وخرج يختلط بأبناء القرية في سوق القرية يسبقه عامله الذي يرافقه كظله؛ فيزيد من هيبته في قلب أبناء القرية؛

فيقطع البيه نصف الجسر بينه وبين قلوبهم بعد أن ذبح «عجلين» وزعهما على أبناء القرية معلنا احتفاله بعيشه بينهم؛ فكان من يقابله منهم يشكره في حياء المحتاج الذي يشكر سيده، بينما اعتبرها البعض هدية تعارف شكره عليها في عزة نفس بعد أن رد الهدية وقدم إليه قفص فاكهة، أو خضروات حرص على انتقائها من أطيب ما جادت به الأرض،

أو ضحى ببطة، أو دجاجة من حصيلة ما يربيه في منزله للمناسبات، أو يتكسب منه ببيع بيضه، أو بيع الأثقل وزنا بينهم عند الاحتياج.

كانوا فقراء؛ لكن ثرائهم في عزة نفوسهم، وكان هؤلاء الأثرياء بعزة نفوسهم أشد ما يقف في حلق البيه الذي اعتاد شراء كل شيء، وفي مقدمة ما يشتريه بالطبع البشر.

ومع خروج البيه؛ بدأت تنزاح الإشاعات الغيبية عنه، ويحل محلها الآراء، والحكايات عنه في الأمسيات،

وما أطول مساء الريف لا يجد أبناؤه سوى الحكايات لتمرره قبل أن يتوجه كل منهم إلى منزله؛ فتطارده زوجته بطلباتها، أو تقرير مشاجرتها مع إحدى الجارات التي ضرب أولادها أحد

أولادهم، أو اختلطت إحدى دجاجتها بدجاجهم؛

فتصبح سهرته بين أبناء جنسه على إحدى المصاطب، أو في الأرض حول «زردة الشاي» هي المهرب من ثرثرة زوجته التي كثيرًا ما يربط بينها وبين «برعي» شيخ الغفر من حيث الشبه.

كان موقع عبد المقصود دائمًا هو المستمع؛ إذ لا معلومة لديه يقولها، ولا جرأة لديه على الحديث الجماعي؛ كان يجلس منزوي في ركن ينصت لأحاديث أبناء قريته،

وبرغم عدم وجود معلومات لديه يخبرها؛ لكن عيناه كانتا ترسلان ما ترياه واضحا لعقله؛ فيكون رأيه بناء على ما يراه وليس على ما يسمعه،

كان يرى البيه يمر في الغيط فتضرب عيناه يمينا ويسارا نحو إنحناءة تلك الفلاحة، أو استدارات جسد تلك،

كانت نظراته حادة مصوبة في دقة تعرف وجهتها تجتذبها كل تاء مؤنثة غضة، تلتمع في عينيه شهوة منفرة مقيتة،

بينما يجلس عبد المقصود في المساء فيسمع عوض يتحدث عن البيه الذي «عينيه ما بتترفعش من الأرض، وبيختشي زي البنت البكر»، و يؤكد الحاضرون على كلامه؛ فتدور عيني عبد المقصود في محجريهما؛ أيُصَدِّق عينيه هو، أم يُصَدِّق ألسنتهم التي يطعمها البيه؟،

أيُكَذِّب عيني البيه المتورمتين المحمرتين بفعل الخمر أم صوته الذي بُحَّ بفعل الحشيش،

أم يُكَذِّب قَسم حسان عن ورع البيه وتقواه، بينما يُقْسِم

فتحـي بأغلـظ الأيمـان أن البيـه لا يتـرك فرضًـا ، ولا يـراه عبد المقصود بالقرب من المسجد أبدا ولو من باب الخطاء.

لكن حدث ما سرق المشهد في القرية من مجيء البيه؛

بـدأ الأمـر بأن اسـتيقظ عـوض ذات يوم فاقدًا بصـره؛ توجه إلـى طبيب الوحـدة الصحية الذي أكد له أنـه لا يجد أي إصابة في عينيه تسـبب فقدان بصره؛ فتوجـه مع عبد الفتاح أفندي الي دكتور البندر الذي كرر رأي طبيب الوحدة بعد أن رأى الأشـعة والتحاليل الخاصة بعوض ،

وفجـأة اسـتيقظت القريـة علـى خبر فقـد حسـان لبصره في صبيحة أحد الأيام ،

وتبعـه بعدها ببضعة أسـابيع فتحـي الذي كان يسـير عائدًا من غيطه بعد المغرب ولكن شـمس عينيه لم تشـرقا مرة أخرى بعدها ،

وبينمـا اختلـف الأطباء الذين ذهبوا اليهـم كل في مدينة ، أو مستشفى يسمع عنه؛ فلا يدخر جهدا أو ثمينا يضحي ببيعه حتى يشتري بصره مرة أخرى؛ كان رأي جميع الأطباء يتطابق «أنه لا يوجد أي مُسبِب لفقد البصر»؛

وأصبـح عبد المقصـود يسـتيقظ يوميًا خائفًا مـن أن يكون دوره التالي في طابور الوباء الغامض الذي يغيب بصر أبناء قريته البسـطاء الذيـن يرددون أنه سـحر أصاب القريـة أو لعنة؛ بعد أن كسـرت أحد «لودرات» البناء التي أحضرهـا البيه لتُبنى الأبراج السكنية الضخمة مكان الأرض الزراعية ،

قـال أحدهم وهو يتلفـت حوله خائفًا «أكيد لـودر البُنا خبط جتتة مسخوط من مساخيط الفراعنة ولعنته صابت البلد»؛

ارتجـف قلب عبد المقصود بين ضلوعـه خوفًا وهو يُنصِت مع المسـتمعين الذيـن كان من بينهم عوض يجلـس القُرفُصاء ثانيًا سـاقيه أسـفله؛ فقفز واقفًا يتخبـط في خطواته يتحسـس بيديه طريقـه، بينما ينقل وجهه الذي اضطرمت خـدوده حُمرة الغليان الـذي يعتمـل بداخلـه؛ فقفـز عبـد المقصـود يعاونه فـي طريقه صائحًـا «اسـتنى بس يا عـوض البيت مش من هنـا، البيت الجهة التانية» وهو يجذبه من ذراعه في حرص؛

فأفلـت عـوض ذراعـه من يده فـي قـوة غاضبة صائحًـا «آني عارف، آني مش رايح البيت»،

ثم اسـتدرك وعبد المقصود يعاود الإمساك بذراعه «آني رايح لـه هو، رايح حِدا البيـه»؛ أراد عبد المقصود أن يثنيه عن قراره، وعـن أخذ منحة جديدة من البيه؛ لكنه آثر السـمع أمام اصراره الـذي بدا من سـرعة خطواتـه المتخبطة؛ خَشِـي أن يظنه عوض يذله بعد أن فقد بصره فطاوعه في إذعان،

لكـن إذعانه تحـول لتأييد؛ حينما فوجئ بعـوض يخرج كل ما في جيبه من نقود كان قد جمعها من ثمن بيع مواشـيه للعلاج ألقاهـا باتجـاه صوت البيه صائحًا في حدة أنه لا يريد نقوده التي جذبت إلى قريتهم اللعنة؛

تضـرج وجـه البيـه في غضـب، وتركهـم مُتجها إلـى إحدى الغرف،

ولم يكونا يحتاجان إذنه أو وداعه لينصرفا؛ فقد ألقى عوض عن كاهله ما أثقله واتجها نحو بوابة المنزل؛

وما أن خطيا أولى خطواتهما خارجها حتى جذب عوض ذراعه من بين يدي عبد المقصود وهو يتلفت حوله يمينًا ويسارًا مبتسمًا بعينين عاد إليهما ضوؤهما ثانية.

❖ ❖ ❖

قلب أزرق سَمَاوي

كان كل فرد في منزلها يعيش في جزيرة منفصلة عن الآخر بآلامه وأحلامه وآرائه؛

ليست الوحدة أن تكون وحيدًا؛ ولكن ألَّا تجد من يشاركك لحظاتك، لم تكن تجد من يشاركها فرحتها بنجاحها، ولم تكن تجد من يشاركها لحظات ألمها وحزنها، بينما كان هذا ما وجدته فيه،

كان الصباح يشرق في عينيه أولًا فتلمع سماؤهما ببريق آمل،

كان يراها نقية غضة بريئة ووليدة مثل اسمها ندى؛

كانت طفلة على أعتاب الأنوثة وأنثى في براءة الطفولة.

قالت له "لم اختر هذه الكلية"؛ فأجابها "بعض الطرق نختارها وبعضها تختارنا وقد يكون الطريق الذي اختارك أجمل وأنسب من الطريق الذي اخترته"؛

ولأول مرة في حياتها تشعر أنها تُرى كإنسانة لها أحلام ومشاعر وآلام وطموح، وليس كطالبة فقط؛ كان يستمع إليها دائمًا بإصغاء؛ فتتحدث وكأنما لم تتحدث في حياتها؛ وبالفعل لم يكن يستمع إليها أحد في حياتها من قبل؛

وبرغم اتساع دائرة أصدقائها في الجامعة بقيَّ هو في مركز

اهتمامها ،

تدريجيًا كان يتسلل إلى كيانها وأحلامها ؛

في البداية كان يمثل لها نافذة على عالمها الدراسي يشرح لها ما يستعصي على فهمها ، يباغتها من آن لآخر بسؤال يوقظ عقلها ، يذهب معها إلى مكتبة الكلية يستذكران سويًا حتى وإن كان كل منهما يستذكر لوحده دروسه ، الخاصة كان وجوده يطمئنها ، وما أغلى قيمة الأمان لإنسان عاش عمره وحيدًا خائفًا ، ثم ومع مرور الوقت أصبح نافذتها على الحياة كلها ؛ ذات مساء كتب عن رسائل مي زيادة وجبران خليل جبران ، ولدهشته في الصباح وجدها في انتظاره أمام سيارته مبكرًا ، ألقت عليه تحية الصباح ثم سألته مباشرة "لماذا لم يتزوج جبران خليل جبران ومي زيادة؟" لم يكن عقله قد استيقظ بعد ، لكن ذلك لم يمنعه من أن يجيبها في مرح "لم أكن أنا مَن منع الزيجة اهدئي" ضحكت في خجل من سخريته

فقال لها في جد "ألم تنامي؟".

أصبحت أحلامهم وآلامهم مشتركة ،

كانت تُحَلِّق مع أحلامها في عينيه ،

لم يكن جمال عينيه وتفردهما هو ما تعشقه فيهما بل نظرة الاهتمام والحنو التي ترتسم فيهما لها ؛ فتنطقان بحبها ،

كلمة أُحِبك تُقال بطرق عدة عدا الكلام؛ تنطق العيون بالحب دائمًا قبل اللسان؛

كانت عينيَّ كل واحدٍ منهما هي بوصلة الآخر للسعادة؛

كان قلبه يبتسم تلقائيًا عندما يراها فيرسل الابتسامة لتطل من عينيه.

ولأول مرة تكتشف أن في الحياة ما يعني ويستحق الحياة التي كان تواجده يحمل وجوه أخرى لها؛ فيمنحها اهتمامًا لا تجده في حياتها ولم تعرف من قبل أنه قد يكون موجودًا في الحياة، يمنحها حنانًا تفتقده بشده، يمنحها الاطمئنان الذي لم تعهده في حياتها من قبله؛ لم يكن تعودًا بل كان حياةً؛

أضاف لحياتها السعادة والحيوية، أضاف لحياتها ابتسامة مشرقة تبدأ إشراقها من عينيه فتنعكس أشعتها على وجهها،

كانت تنظر لعينيه فترى فيهما السماء، وفي غيابه تبحث في السماء فترى عينيه؛ فلا تعلم من منهما انعكاس الأخرى،

معه كانت تشعر بأن بإمكانها أن تمسك بالنجوم، كانت تراهم في عينيه الصافيتين كالسماء في صباحات الصيف المشرقة.

بحر بلا شُطآن ألقاه فيه قلبها بلا قوارب نجاة أو معرفة للسباحة؛ لا تعرف متى أو كيف ستصل للبر؟ هل ستصل إليه وحيدة في نهاية المطاف، وقد اكتفت بالرحلة، أم سيرافقها هو إلى البر فيكون هو شاطئها؟.

قال لها "أنا من المتيمين بالصباحات وإشراقاتها النضرة؛ النور الذي يغمر الحياة؛ الأمل المتجدد فيها؛ الأحلام التي ترتفع مع شمسها؛ تغريدات العصافير المبهجة"؛ تمنت لو كان بإمكانها

أن تقول له "سماء الصباح مقيمة بجمالها في عينيه" وهي تنظر إليه، وتمنى لو كان بإمكانه أن يقول لها "أنه في كل صباح تبقى عيناه معلقة بمرآة حُجرته؛ ليرى انعكاس صورتها تفتح شرفة حجرتها بها؛ لتشرق شمس صباحه وترتسم ابتسامة يومه".

خفق قلبها في شدة عندما أدارت فجأة الكاسيت في سيارته؛ لينساب عبره صوت منير "باكتب حروف اسمك بحبات الندى على كل أوراق الشجر"، بينما اصطبغ وجهه قانيًا؛ عندما دارت الأغنية التالية لتؤكد ما خفق له قلبها "عشقك ندى فاق المدى".

أقسى ما قد يفعله إنسان بقلبه أن يخسر حب حياته،

تلك اللحظة الفاصلة التي قد يواجهها أي إنسان عندما ينقضي عمره ويكتشف أن اختياره كان خاطئًا كانت أشد ما تخشاه هي، والأقسى أنه ليس اختيارها هي لتدفع ثمنه من سعادتها وعمرها راضخة؛ بل اختيار أمها.

إنَّه يعلم جيدًا أن بوصلة قلبه لا تخدعه أبدًا يتبعها دائمًا مطمئنًا؛ قد يعيش المرء عمره كله يبحث عن هذا الحب وقد يفني البعض حيواتهم دون أن يجدوه أو يسعدوا به؛ فتنقضي حيواتهم دون أن يعيشوها حقًا، فكيف يضيع هو حب حياته من يده؟، المرء لا يحتاج الكثير لأن يعرف أنه وجد حب حياته الذي إذا فقده؛ فلن يجده مرة أخرى.

كان شرط الأم لتصرف نظر عن طلب خطبة الدكتور الشاب أن تمتنع ندى عن مقابلة آسر؛ كانت تُعوِّل على أنَّ تعلقها به من باب التعود وأن عدم لقائهم سيُنهي هذا التعود.

كانا ملتزمين بوعدها لأمها؛ فلا يتحدثان، لكن بين عينيهما حديثًا لا ينقطع.

آثر كل منهما الصمت والابتعاد رثاء على قلب الآخر من الألم، ولم يكن أحدهما يعلم أن الغياب يزيده حضورًا في قلب الآخر وأنَّ كلا منهما وضع الآخر مكان قلبه، وأرسل قلبه مع حبيبه؛

لم يكن التحاقه بالبعثة هروبًا أو تخليًا عنها؛ بل إشفاقًا عليها من انشطار قلبها بينه وبين أمها.

قد تُمحى ذاكرة العقل؛ بمرور السنوات تصبح الذكريات ضبابية، لكن المدهش أنَّ الوجه يحمل ذاكرة مُخيفة تزداد قوة ووضوحًا بمرور الوقت لا يمكن لعين أن تخطيء ما مرَّ بهذه الشفاه من ضحكات انطبعت حولها، وما ذرفته هذه العين من دموع ارتسمت طرقها محددة أسفلها، تطل عليها خطوط تركتها نظرات حب ابتسمت لها العينين فتركت مكان كل نظرة أثر يحكي بهجة قلب رأى حبيبه، يوازيها خطوط انطبعت على الجبهة لوعةً واشتيقًا وحيرة؛ فلكل وجه ذاكرته التي لا تكذب أبدًا.

كلما جلست تستذكر كان يجلس طيفه بجوارها يؤنسها، تراه عندما كانا يجلسان متقابلين في المكتبة دون أن يحدث أحدهما الآخر التزامًا بوعدها لأمها لكنه لا يلبث أن يجذب دفترها يدون به بعض الملاحظات التي تيسر لها الفهم والاستذكار، ثم يعيده إلى موضعه أمامها في هدوء دون أن يبادلها كلمة؛

تمنحها ذكرى المشهد ابتسامة حنين كَسَرَها غيابه؛ فتزفر متنهدة عازمة على ألا تضيع مجهوده معها.

لم يكن الموقف يستحق البكاء لهذه الدرجة، لكنها بكت لكل المرات التي كبتت فيها دموعها؛ وكأنما فاض سيل دموعها التي خزنتها طويلًا.

كم تمنى لو كان بإمكانه أن يطمئن ترى هل تناولت إفطارها؟، أم أنها عادت للانقطاع عن تناول الإفطار مثلما كانت تفعل قبل أن يوصيها به؟،

ترى هل يعلم كل من يشرق صباحها عليه أنه على استعداد أن يضحي بعمره كله من أجل أن يراها لو لحظة واحدة؟.

تكذب الشفاه لكن العيون أبدًا لا تكذب؛ تتظاهر الشفاه بالابتسام لكن العيون لا تبتسم إلَّا صدقًا وحبًا،

بانطفاء الروح حزنًا تنطفئ العينان؛ فيوشم فيهما الحزن عميقا يُكذِّب ابتسامات الشفاه.

كانت فرحة الأم بانتصارها وابتعاده عن حياة ابنتها تتلاشى تدريجيًا؛ ويتصاعد بدلًا منها ألمًا يزيحها من قلبها خطوة بخطوة مع ذبول ابنتها المتزايد، لم تعد هذه "نَدَاها" النضرة، قطرة الندى التي تسقط على وردة تزيدها رقة وبريقًا وجمالًا فتزيد من جمالها، تحولت إلى دمعة صامتة مختبئة.

كانت محاولات الأم لإعادة سُكنى قلب ابنتها بنازل جديد ممن يتقدم لخطبتها ممن قطع قفزات ناجحة نحو مستقبله فيُوفِر

عليهـا عناء بدايات الطريق، ويوفر لها حياة مثل التي توفرها هي وأبيهـا لهـا تبـوء بالفشـل؛ إذ كان يصنـع حبه في قلبهـا حاجزًا يستحيل على أي فارس سواه تخطيه.

أريـد أن أكون نفسـي وكفى، الكثير من البشـر يعيشـون حيواتهـم سـيرًا على نهج الجميع، يدخلـون المدارس لأن الجميع يدخلـون المـدارس، يختارون هـذا المجال دون غيـره لأنه مجال يختـاره ويقدره الجميع، يتزوجون لأن الجميع يتزوجون، فيمرون بالحيـاة دون أن يحيوهـا حقيقـة؛ الحياة يجـب أن تعاش كحياة بـكل لحظـة فيهـا وكل نفـس فيـك بـكل شـغفك، وحبـك، واستمتاعك، وإرادتك.

كـم يكـون الطريـق طويـلًا موحشًـا حيـن يغيب مـن كان يشـاركنا خطواته فيساندها، ويقيل عثراتنا فيه لكنها كانت تتكـئ في طريقهـا على ذكرياتهما معًا؛ كانـت تعيش عالمها الحقيقـي بالاسـتناد على عالم مـوازي لا يغيب هو فيـه بل يتمثل حاضرًا في كل تفاصيله، فكان حاضرًا في حياتها رَغم غيابه.

كانت بين مطرقة غيابه وافتقاده، وسندان كتمانها لألمها.

كان يبحث هو عنها في كل تفاصيل يومه ويتسـاءل "كيف يمـر يومهـا؟، هل تحتاج دعمه؟، هل تقدر على مواجهة الفراق أم أنِ سـنان البعاد والوحدة تمزق قلبها بين أضلعها؟"؛ ليته يسـتطيع أن يحتويهـا بين أضلعه؛ فيخبئها برقتها عن العالم بقسـوته، ليته يستطيع تخفيف الألم عنها،

كان قلبه يحتضن صورتها تنطق عيناها بكل ألمها لفراقهما؛ فتدمع عليها دقاته ألمًا.

كان الندم كل يوم يكسب أرضًا جديدة في قلب الأم الذي لم تكن ابتسامة ابنتها لتضلله عن حزنها الخفي، قلبها الذي آثرت الابنة ألا توجعه أو تتحداه كان يحلم لها بالسعادة، وليس بهذا الذبول، لكن يبدو أن متطلباتنا نحو السعادة ليست واحدة،

كانت سعادة ندى في قطعة اللبان التي يمنحها له البائع كباقي نقود؛ فيمنحها هو لها في أبوة عفوية أنبتها احساسه بالمسؤولية تجاهها، كم تكون عسيرة متطلباتنا للسعادة على الرغم من بساطتها

كان الأب يراقب الوضع عن كثب في صمت ويتساءل بين نفسه هل ندمت زوجته على بدايات الطريق معه، أم أنها نسيت حبهما، ولم تعد تذكر من رحلة حياتهما سوى عناء البدايات التي تقترن لديه بسعادة رفقتهما سويًا، أم أنها غريزة الأمومة التي تدفعها نحو الأفضل لابنتها؟.

كم يتضاعف الخوف والألم حينما نكتمه بداخلنا، وكأنما نزرع بذرته داخل قلوبنا تسقيه الوحدة والذكريات؛ فيشتد عوده بداخلنا، ويحتل مكان أزهار السعادة؛ بينما نبحث عن أي منفذ لإزاحته واستبداله بوردة واحدة فَرِحة.

كلما اقتربت الأم من حجرة ابنتها كان صوت عايدة الأيوبي رقيقًا ينادي "على بالي حبيبي ابن بلدي على باااالي" يتناهى إلى

مسـامعها؛ فينغـرس نصل الألم فـي قلبها ندمًا ورِقـة لحال ابنتها التي تطفئ الأغنية إذا سمعت خطوات تقترب من حجرتها.

كانت فرحة ندى بنجاحها مزيفة كاذبة مرتسمة فقط على وجههـا في ابتسـامة ذابلة خرسـاء؛ بينما يبحث قلبهـا عن معلمه الحـب والنجاح؛ ليشـعل جذوة فرحتـه، وكانت أمهـا ترى كل ذلك جليًا فتتساءل بين نفسها وقد فقدت ابنتها كل مذاق وقيمة للحياة لِمَ لَم تتمسك ابنتها باختيارها وتعارضها؟، لِمَ رضخت لها مذعنة ومضحية بسـعادتها؟، ألم يكن من الممكن أن تتشـبث بحبيبهـا وترحمها من هذا الألم النادم؟؛ فهي لا تسـتطيع إصلاح قرارها الخاطئ بإبعادهما عن بعض، وماذا كان سيضير ابنتها من بدايات الطريق مع حبيبها آسر؟ كانت ستمر العثرات ويبقى الحب.

كانت الأم تقف في مفترق طرق بين كبريائها وعدم رغبتها فـي الاعتراف بخطئهـا، وبين ألم قلبها لوعة على ابنتها التي يرى أنَّ عودتها لآسـر هـي عودة الحياة لها، بينما يـرى كبرياؤها أنَّ ذلك سـيُفقدها كرامتها أمامه، إذا مـا حدثته الأم للعودة، وإذا سارت في أي طريق منهما ستعذب ابنتها لامحالة.

بينمـا كانـت حوله الكثيـرات يتمنينه، كانت نَدَاه تأسـره بطيفهـا الـذي يعيش معه ويهون عليه فراقهـا وغربته على أمل أن تجمعه الأيام بندى أيامه وعمره؛ فلا يرى سواها في محيطه.

كانت الأم تعلم أنَّ ابنتها سـتنفذ وعدها بالابتعاد، وسـيلتزم آسـر بقرارهـا بالرَغـم من تعلـق عيناهـا بنافذته منـذ عودته من

البعثة، لكنها كانت تتمنى سرًا بين نفسها لو حدثها أو حدثته.

كان آسر يعرف أنَّ عيد ميلاد ندى بقى عليه ثمانية أشهر؛ لذا كان اتصال أمها تدعوه للحضور في المساء لحفل عيد ميلاد ابنتها مباغتًا.

كانت الأم تثق أنه يعلم بموعد عيد ميلاد نداه الحقيقي، وكانت تثق أنه سيفهم رسالتها المشفرة له بدعوته.

لم يكن الأب يحتاج اعتذارًا وتأكيدًا أنَّ زوجته لم تندم على رحلتها معه وأنَّ بدايات الطريق الجافة لَم تَمْح ذكرى حبهما أكثر من القلب الأزرق السَماوي بلون عينين آسر يتوسط القلادة التي قدمتها لابنتها هدية إعلانًا لها ولحبيبها عن مباركتها بداية رحلتهما.

❖ ❖ ❖

السيد

أشعلت لُفافة تبغي ونفثت دخانها في بطء واستمتاع، قَطَعه صوته يأتيني مُزعِجًا عاليًا من ركن قريب في الحديقة متألمًا من شدة تقيؤه، وسرعان ما تعالى صوته بكلمات تقطَّعت حروفها على لسانه المتثاقل "أنا نجم، أنا بطل"، في بداية عملي كنت أُصاب بالذعر خشية أن يعرف أنني رأيته في هذا الوضع المُشين سكيرًا مترنحًا لا تقو ساقيه على حمله؛ فيتخلص مني سيدي ليرضيه؛ فكنت أتوارى عن أنظاره بين الأشجار لكن مع تكرار المشهد أيقنت أن عقله الغائب مع الخمر لن يتعرفني؛ فأنا مجرد كبير طهاة في قصر مضيفه، وإن تعرفني؛ فلن تسعفه ذاكرته حين يفيق من سكره بتذكري؛ لذا أصبحت أتوارى بين الأشجار عند سماعه، ولكن رثاءً عليه كان شابًا موهوبًا تفتح النجومية ذراعيها له، حققت أعماله الأولى نجاحات ساحقة في سن صغير وتوقع له الجميع التألق والتربع على عرش السينما لسنوات، ولكن الوجه الآخر للعملة يحمل وجهًا في منتهى القسوة عند تقديم مستوى أقل مما توقعوه منه.

كان مرآه بهذا الحال يقطع استمتاعي بخلوتي بلفافات تبغي وكوب الشاي الذي أحرص على إعداده بنفسي؛ لألتقط بعض من أنفاسي أثناء انشغال الجميع بتناول أصناف الطعام الشهية المختلفة التي أتفنن في إعدادها، وتكون مكافئتي لنفسي هي هذه الخلوة التي أفرغ فيها من توتري وخوفي من أي امتعاض

أو ملاحظة سلبية يبديهم أحد ضيوف سيدي؛ فأجد نفسي في الشارع أبحث عن رصيف يأوي أبنائي الذين أحتمل كل شيء في سبيلهم، وأبذل كرامتي أمام سيدي وضيوفه في أدب ذليل لا أملك سواه مع مهارتي في الطهي؛ لأحافظ على قوتهم ومأواهم؛ فما ذنب هذه الزهرات الغضة اليانعة لتجد نفسها بلا أرض ولا ظل ولا غذاء؛ لتذبل وتموت مرضًا وجوعًا.

ترى هل الشاي بالفعل مُر هذه المرة؟ أم أنه يعاقبني لكل المرات التي أظهرت فيها الاحترام لسيدي وضيوفه؟ ألم يشاركني هذا الكوب مشاهدة زوجة سيدي تلتف ذراعيها حول عنق ضيفه العجوز في أحد أركان الحديقة؛ لكم ذعرت في ذلك اليوم، وكان أشد ما أخشاه أن يراني أحدهم ففي هذه المواقف ستكون حياتي أو شرفي أنا هو المقابل لشرفهم فما أسهل أن أُتَهم بالسرقة أو يتم التخلص مني؛ التصقت يومها بالحائط أكتم أنفاسي بينما تدور عيناي في جميع الاتجاهات مرتعبة لكن رعبهما تضاعف حينما وقعتا على سيدي يتوارى خلف ستائر نافذة غرفته يتابع زوجته تقدم لضيفه المتغضن الوجه واجب الضيافة بعلمه أو بأوامره،

ترى لو علم سيدي وضيوفه ما أعلمه عنهم مَن منهم سيردني أولًا؟، أم أنهم سيجعلونني هدف رماية ثابت يصوبون عليه؟؛

أقف دائمًا في ركن منزوي من الحديقة لأظفر ببعض الراحة؛ حيث كانت أوامر سيدي منذ أول يوم عمل لي باتباع الإجراءات الصحية الصارمة، وعدم التدخين في المطبخ أبدًا،

لكن هذه الاستراحة مع نفسي كانت تخبئ لي مفاجئات

قاسية في كثير من الأحيان؛ فأول خبرة تعلمتها أن أكون أعمى عن كل ما أراه أو أعلمه، وأن ضمان حياتي وقوت أبنائي هو جهلي التام بكل ما يمكن أن يحدث داخل أسوار القصر، وإن أجبرتني الظروف على الرؤية؛ يجب أن أتظاهر بالعمى.

في نفس هذه البقعة التي كان يقف بها العجوز المُتصابي بين ذراعي سيدة القصر كان يقف في ليلة أخرى بين ذراعي أخرى فاتنة تبحث عن فرصة تقفز بها بين نجمات الصف الأول للممثلات؛ هذا السبعيني قد يرضى عنها وينتج لها فيلمًا يشري دلالها وشبابها به ليُرضي ذاته التي ينفق النفيس والغالي في سبيل إرضائها وتدليلها؛ فيبدل الفاتنات حوله باستمرار مثل جواري العصور الوسطى، ويقتني قطع الآثار النادرة والتحف الفنية تملأ قصره المهيب الذي سمعت الأساطير عنه من سائق سيدي وأفراد الأمن المُحاوطين له، كنت أظنها مبالغات الفقراء عن جنة الأثرياء التي لم يروا مثلها قط؛ حتى رأيت ذات ليلة سيدي يقدم له حقيبة تحوي أحد التماثيل الفرعونية كان بريقه يعكس ضوء القصر الواصل إليه من النوافذ على ضعفه لاختيارهم مكانًا قصيًا من الحديقة، بينما كنت أختبئ أنا حينها لحظي العاثر حين رأيت الممثلة الشابة مع مخرج من ضيوف سيدي في ركن آخر من الحديقة كنت أسمع اسمه قبلًا كمخرج شاب ثوري منحاز للفقراء من طبقتي التي يتفاخر بكونه منها، لم أكن أعلم أنه جزء من التسويق لنفسه حتى رأيته هنا يرتدي البدل "السينييه" ويدخن أغلى السجائر بينما تراوده تلك الممثلة أو غيرها عن بطولة في فيلم، ويراودهن هو

عن كرامتهن ويراودني أنا المشهد كله عن احترامي لهم،

كنت أعلم أن سيدي قد يفعل أي شيء ليحافظ على منصبه المرموق يأمر فيُطاع، ينتقل لأي مكان فيتم إخلاؤه له، إشارة بسيطة منه قد ترفع موظف لهالة من الرقي أو تهبط به لسابع أرض؛ لذا يخشاه الجميع،

سطوة لا تقاوم بالفعل، لكن أن يقدم زوجته قربانًا لها؛ ،بالطبع سيُغري هذا العجوز أن يجد زوجة جميلة شابة تسترضيه لتنال هبته ومنحته بأن يُبقي على زوجها الشاب الوسيم في منصبه؛

ترى هل المال أقوى أم السُلطة؟ كنت أظن أن سلطة سيدي هي الأقوى منذ عملت لديه؛ لكن هذا المشهد أدار رأسي.

أم أن الحب هو الأكثر سطوة؟ في الحب ينهزم أكثر من يحب أكثر كان هذا ما أراه من موقعي هنا وأنا أراه يتذلل لها ليرضيها؛ بينما يزيد هذا صلفها معه وتعاليها عليه؛ كم تمنيت أن أصفعه قلمًا يفيقه من سكرته أمامها، كانا ضيفين آخرين دائمين لدى سيدي ولم أرهما مرة على وفاق، دائمًا هي عابسة متذمرة تسبقه خطواتها في غضب؛ بينما يهرول هو خلفها يسترضيها ويفاوضها على رضاها عنه، لم تكن فاتنة كما لم تكن أثرى منه، بل هو من يقدم لها القربان تلو الآخر لا يريد مقابلًا له سوى ابتسامة رضاها وقربها.

لقد سرقني الوقت مع أفكاري، لكن يبدو أن الأستاذ أمير

قـد تدبـر أمره بدوني جيدًا ؛ يوحي عدم اسـتدعائه أو مهاتفته لي بـأن الأمور لديه تسـير على ما يرام ، إنـه فتى ذكي وماهر يتعلم منـي بسـرعة ودقـة كل الوصفـات ، ويظن أن ندائـي له بكلمة الأستاذ تسبق اسمه هو تواضعًا أو تدليلًا مني له ،

منذ جاء ليعمل مساعدًا لي يندمج تمامًا في عمله فيؤديه بكل جـد وإتقان يتعلم في صبـر وتؤدة ما أمليه عليه ، فقط يركز في عمله ،

لم يحاول قط أن يقابل مرؤوسـينا ليتقرب إليهم أو يبدي لهم تفانيـه مرتديًا قناع الأدب المتذلل الـذي أرتديه أنا أمامهم ، يعلم أن رزقه بيد خالقه فيجتهد في عمله لا يشغل بالًا لأي شيء آخر ؛

ذات يوم ضبطت نفسي أقف تلقائيًا عندما يدخل إلى المكان ؛ فابتسمت للخاطرة ،

ولم أستطع أن أناديه إلا بالأستاذ قبل اسمه ؛

فهو السيد الحقيقي الذي يملك حريته واحترامه هنا.

❖ ❖ ❖

نوَّة

تعالى صوت هطول الأمطار تنهمر في غزارة مُشكِلة لحنًا طبيعيًا فخلت السماء من الطيور التي آثرت أن تختبئ في أعشاشها؛ وخلت الشوارع من المارة الذين آثروا أن يتابعوا سقوط الأمطار من خلف زجاج نوافذهم،

وأغلقت بعض المحلات أبوابها، بينما جلس في البعض الآخر البائعين يحتسون المشروبات الساخنة وقد أمسك كل منهم بالقدح في يده علَّه يمده ببعض الدفء، حتى القطط اندست تختبئ أسفل السيارات، بينما كنت أجول أنا بسيارتي بغير وجهة محددة، تتمايل المساحات تزيل المياه عن الزجاج الأمامي فأرى مراكب الصيد مصطفة في المياه لا أدري إن كنت أنا الذي أنظر إليها، أم أنها هي التي تنظر إلَيَّ تسألني في لهفة "متى سنقلع؟ لقد طالت فترة راحتنا"، ولا أعرف بم أُجيبها.

تقع عيني على منزل مدبولي أرى ضوء الغرفة البرتقالي من خلف الزجاج فأتخيل فاطمة زوجته وقد جلست تقتسم برتقالة بين ابنيها اللذان جلسا يذاكران في هدوء وانكسار؛ بعد غياب الأب إثر غرق المركب التي كان يعمل عليها وعدم عودته أو العثور على جسده،

صحيح أن "الريس" فتحي يرسل إليها بنفقة شهرية لكنها لن

تستطيع أن تطلب المزيد إن احتاجت.

قفـزت قطرة مطر تلثم وجهي من خـلال الفتحة الضيقة التي تركتها من نافذة السـيارة فتأتيني نسـمة هواء باردة تحمل معها رائحة مطـر اختلطت بصور ذكريات متفرقة لمركبي تتقاذفها الأمـواج وتتلاعـب بهـا ، بينما نغلق علـى أنفسـنا "الكابينة" في إحكام بعد أن رفعنا الأَشـرِعَة نوجهها بحسـب اتجاه الرياح، لا نعلـم إن كانت تقلبات الموج سـتكتفي بهـذه الهزات بمركبنا المتوسـط أم أنَّ اللعبـة سـتروق لها فتكشـر لنا عـن أنياب نعلم ضراوتهـا ونخشـى أن تلوكنا بيـن ضرباتها وقد ارتسـمت صور أبنائنـا وآبائنا ترجف قلوبنا خوفًا وشـفقة على مصائرهم؛ إذا ما فتكت بنا الأمواج،

نتشـاغل عـن مخاوفنـا بأحاديث يبـدو أنها وُجِـدت خصيصًا لمثل هذه اللحظات،

تُوحِشنا لَمَّة أسرنا التي نعرف مقدار غلاها في تلك اللحظة، نفتقـد دفء أحاديثنـا وضحكاتنا حول مائدة الطعام السـاخن، حتى حسـاء العدس مع أسـرنا له مـذاق مختلف؛ إنهـا اللَّمَّة التي تضيف للطعام نكهة لا توجد سوى بها.

أسـتدير بسـيارتي مـع منحنـى يشـبه أيامنا فـأرى زينب وقد أمسكت بيد ابنتها تحتمي من المطر في مدخل إحدى الصيدليات تنتظر أن تهدأ شـدة المطر، تنظر إلى هاتفها المحمول فتبتسم؛ أبتسم لابتسامتها دون أن تلحظني، يبدو أن سيد زوجها يراسلها، فَفِي برودة البحر تكون هذه المراسـلات مصدر دفئنا الوحيد،

ومتابعتنا لأحوال أسرنا ، واطمئنانهم علينا.

هذه الرسائل مع مخطوبتي تكون هي الواحة التي أحتمي بها من وحشة ليال زادتها قسوتها طولاً وهيبة موجعة.

أبتسم لمرور طيف مخطوبتي ببالي في تلك اللحظة فتمتد يدي إلى المذياع تديره فيأتيني صوت أم كلثوم يدفئني فأردد هامسا معها "فكروني إزاااي!! .. هو أنا نسيتك؟"

أسرح مع كلماتها وصوتها الشجي الذهبي يأخذني معه لأحاديثنا الحالمة الدافئة فأسير معها في الطرقات حتى يباغتني هزيم رعد يخرجني من أحلامي على يوم خلافي مع أسرة خطيبتي، هم يصرون على طلباتهم المادية ، وأنا لا أمانع ولكن قصرت يدي وحيلتي، كيف لي أن أقيم الزفاف خلال شهر في قاعة تتكلف عشرات الألوف؟، كيف لي أن أحقق شروطهم؟.

ياه كم تكون مؤلمة الحياة حين يتحول عنك منبع الأمان فتُمسي خائفًا مترقبًا لفقدانه في أية لحظة ،

وها قد طالت النوَّة لتعرقل خطواتي المهتزة لبر الأمان فيتوه طريقي تركتني خطيبتي أسير فيه وحيدا ، وسارت في الطريق المعاكس مع أسرتها.

أدير مؤشر المذياع أستمع لأخبار الطقس، حفظنا منذ نعومة أظفارنا مواعيد النوات وفتراتها ، لكن النوَّة هذا العام طالت واشتدت، أم أننا نحن الذين ضعفنا وهزمتنا خطواتنا وهزمنا نحن أحلامنا التي تخلت عنا مُبتعدة لآخرين يملكون أثمانها؛

أما نحن فنعيد تفصيل أحلامنا على مقاسات إمكانياتنا ،

يأتيني صوت المذيعة مرتعشًا مهتزًا بفعل البرودة تعلن أن النوة مازالت مستمرة وتفتح حديثًا مع ضيفها عن تغيرات المناخ وأسبابها أدير المؤشر مرة أخرى؛ فأنا أدرى منهما بتأثيراتها ؛ يأتيني صوت ثومة يحمل لهفتي

"وافتكرت فرحت وياك أد ايه ... وافتكرت كمان يا روحي بعدنا ليه .. بعدنا ليه .. بعدنا ليه" ، أزفر متنهدًا وأهمس "بعدنا ليه" ، أَمُر لا إراديًا بجوار منزل حبيبتي أتعجب متى أمسك قلبي بالمقود!، تجذب نافذتها عيناي ترى ماذا تفعل الآن أهي نائمة يتدفأ قلبها بفراشها الوثير؟، أم أنها تستذكر بعض دروسها؟، ترى هل ترتسم صورتي في كتبها مثلما ترتسم صورتها لي الآن؟ تخرج مني تنهيدة تحمل أنفاسها لهيب لوعتي كيف تخلت عني؟، كيف روضتْ قلبها؟

تدمع عيناي ناظرة لنافذتها التي طالما أطلت منها تبتسم لي مودعة؛ ها قد غادَرَتني الآن بدون أي وداع.

أدير محرك سيارتي وأمضي قبل أن يلمحني أحد ذليلًا أمام نافذتها ، أرى رجلًا كبيرًا قد وقف يحتمي أسفل شرفة أحد المنازل؛ أَقِف له بعد الكثير من الرفض منه يوافق أن أوصله لوجهته ، نتجاذب حديثًا عامًا حول الطقس والأيام ، يشكرني في حرارة مصرًا أن أصعد معه لمنزله لأحتسي مشروبًا دافئًا ؛ أشكره مودعًا ،

مـا أن يفتح باب منزله حتى تسـبقه قطة صغيـرة نحو الداخل تتعلـق أذنـي بموائها المسـتمر الـذي يخفت تدريجيًا ثم يسـكن فجـأة ربمـا قدم لهـا الرجـل الطيب بعـض اللبن الدافـئ، وربما فاوض جوعها بقطعة من السمك أو الجبن.

يهتـز الجـوال فـي جيبـي؛ فأمد يدي فـي ملل لأسـكته قبل أن يصـدر رنينـه، يهتـز مرة أخـرى؛ أخرجه في فضـول لأرى من المصر على الاتصال، قبل أن تصل شاشته لمرمى بصري تأتيني النغمة الآسرة تزف لي هوية المتصل إنها حبيبتي؛ تضيء الفرحة وجهي، أقول لنفسـي مهلًا سـأتمهل قبل الإجابـة على اتصالها، تعصـى أصابعـي أمر عقلي وتطيـع أمر قلبي الذي يغـرد مع ثومة "حبك أنت مالوش نهاااية".

❖ ❖ ❖

نظرة استغاثة

التقت أعيننا في لحظة خاطفة دون قصد مني أو منها ، لكن عينيها قالتا الكثير في تلك اللحظة فكما أن عيني تجيدان الحديث فإنهما تجيدان الإصغاء أيضا ، كانت عينيها تنطقان أنقذيني، فلينقذني أي أحد ، نظرت حولي وحولها كان الجميع يغنون ويتراقصون في سعادة بينما كانت هي تضع على شفتيها ابتسامة على العكس من عينيها التين افتقدتا البريق المميز لعيني كل عروس كانتا مطفيتين حزينتين بدا فيهما شبح التماع لكنه التماع دموع.

كنت قد كونت نظريتي الخاصة منذ الصغر حيث لم استطع أبدًا أن أقاوم مشاهدة أي حفل زفاف أمُر به تتعلق عيناي بالعروس جميلة في فرحتها تحلم عيناي بي في فستانها وفرحتها التي تنتقل إليَّ فيتمايل قلبي مع تمايلها لكن مع تعدد المشاهدات أيقنت أن ما يميز العروس ويزينها ليس أدوات التجميل والمساحيق بل فرحتها التي تنعكس بريقًا يتلألأ في عينيها.

أردت أن أنقذها ، وأن أُلبي استغاثتها التي أعلمها جيدا فقد رددتها يوما من قبلها ، والتمعت الدموع في عيني مثلها والتاع قلبي حزينًا في قفصه يحاول التمرد والخروج على ما فعلته به؛ كنت متخرجة حديثًا من الجامعة لم ينقض على تخرجي سوى

بضعة أشهر حين همست لي شقيقتي ذات يوم "جايلك عريس"؛

غمرني الحياء لكنه لم يمنع ابتسامة فرح حيية على شفتي لم أستطع كبحها، فسألتها في همس "من؟"، فهمَسَت لي باسمه؛ صُدِمت لوهلة ثم ظننت أنها تداعبني فقلت لها "انتي بتهزري؟، مين بجد؟"

نظرت لي في صدق وأقسمت أنه هو، لم أكن أعرفه عن قرب لكني رأيته ربما مرة أو اثنتين وألقيت عليه سلامًا عابرًا في طريقي، لكني أعرف بالتأكيد أنه ليس حلمي بالحب الذي اشتاق قلبي لأن يعيشه طويلًا، عندما تأكدت من صدقها وجمت في صرامة وأعلنتها رفضي في حزم؛

نظرت لي في حيرة، وأخبرتني عن تحمسهم في المنزل له؛ فأصررت على إعلان رفضي لها.

عندما فاتحتني أمي في أمره وهي فَرِحة أخبرتها أني لا أريده منعني الحياء من أن أصرح أني لا أحبه وأني انتظرت طوال عمري حتى أعيش حلمي بالحب وأنَّ هذه الخطبة ستئدُ قلبي وأحلامي إلى الأبد، كان هذا ما أشعر به وهي تصوغ لي محاسنه في حثٍ لي على الموافقة، لكن الكلمات تاهت مني؛ فقد كنت مشتتة بين ما يصرخ به قلبي وما يحاول أن يتجاوب له عقلي، كان قلبي يحاول أن يصُم أذني عن أي محاولات إقناع بالموافقة بينما يصغي عقلي يجمع الأفكار ويرتبها في محاولة للوصول لقرار منطقي، كم يكون غباء الإنسان حين يترك لعقله البت في أمور الكلمة الأولى فيها للقلب.

ومـع تحمـس الجميـع وإيجابياته التـي يصوغونها لـي؛ كان حديثهـم يؤثر في عقلـي الذي تداعبه أحلام طفلة تريد أن ترتدي فستانًا مثل الأميرات، وتذهب إلى "الكوافير" وتضع "المكياج" تجلـس في كوشـة تلتـف حولهـا الأعيـن الفرحـة؛ كان صوت أحـلام الطفلة بداخلي يتعالى مع صـوت أحاديثهم عنه؛ فأعلنتهم الموافقة.

كانت الصورة جميلة بهية في خيالي لم أضعه هو بها تجاهلته تمامًـا منهـا؛ ربمـا هروبًـا وربما محاولـة من عقلي علـى إجباري علـى الموافقـة فقـد كان رأيـه "أنتِ لا تعيشـين قصـة حب ولن تسـمحي لأي أحد بالاقتراب منك والتلاعب بقلبك؛ فلم الرفض؟ أليسـت هـذه فرصتك لتحققي حلمك بأن تكونـي العروس التي حلمتيها؟، ثم إنه لديه من الإيجابيات ما قد يجعلك تحبيه"؛ كان حديـث عقلي لي مقنعًا منطقيًا لكن فاتته نقطة صغيرة وهي أن الحب جريء مقدام في اقتحامه للقلب يخطفه في لحظة فيأسره في حبه سعيدًا بأسره،

لا يكـون الحـب حبًـا لأي سـبب تحـب إنسـان يدخـل قلبك كنسمات رقيقة تذيبك مع انتعاشها.

في الأيام التالية كنت مسـتغرقة تمامًـا في الإعدادات لحفل الخطوبـة، التفاصيـل التـي حلمـت أن أعيشـها كنت اتشـاغل بهـا عن اسـتغاثة قلبي حزينًا؛ كنت أقنع نفسـي بأنني سـعيدة، لـم ألتفت لذلك الصغير المسـكين يبكـي بداخلي حتى جاءت اللحظة التي أعلنها فيها غصبًا عني حين كنا نسير لشراء بعض

الاحتياجات حين رآه أخي فهمس لي مداعبًا "عريسك هناك" ثم أردف "تدفعي كام وأجيبه يسلم علينا؟"؛ أجابه قلبي في تلقائية حقيقية على لساني "أنا هادفع عشان ما تجيبوش"؛

نظر لي في ذهول مصدوم يحاول أن يتحقق هل ردي كان دعابة أم حياء أم أنه حقيقي؟،

ومضينا في طريقنا دون أن نعلم أهو طريقنا حقًا أم أنني ضللت الطريق؟.

مع مرور الأيام وتقارب الموعد كانت استغاثات قلبي تتعالى في نحيب يكتمه عقلي،

وكنت أواصل تشاغلي عنها حتى كانت الليلة التي تسبق يوم الحفل توجهت للنوم مبكرة لأحافظ على نضارة وجهي في الحفل في اليوم التالي، عبثًا حاولت النوم لكن قلبي كان مقهورًا يستعر فيه الألم، وبدا الصراع بين قلبي وعقلي في أوجه، كنت خارجيًا أمثل عقلي كعروس فرحة تستعد لحفل خطبتها؛

بينما بداخلي جلست فتاة صغيرة حزينة باكية تسند رأسها على مرفقيها لا تقوي على رفعه، تذرف دموع قلبها في صمت تحاول أن تستغيث بي، لكني لم استطع مساعدتها، كنت أحلم بأي إنقاذ تمنيت لو مت حتى أهرب من كل هذا، كان عقلي يخبرني أني أجحد وأني مغرورة أريد كل شيء، وكان قلبي يقول في ضعف "لا أريد سوى حقي في أن أحب"،

خرجت من غرفتي بعد استغراق الجميع في النوم جلست نفس

جلسة الفتاة التي بداخلي لأول مرة أتوحد معها؛ زفرت متنهدة لا أدري ماذا أفعل؟، أنظر إلى الصراع داخلي متفرجة لم يعد هناك منفذ؛ لقد تحدد الموعد وتم دعوة الحضور وتجهيز كل شيء، كان عقلي يحاول أن يقنعني بأنني سعيدة مثل العرائس، لكن قلبي كان أصدق منه كان يجلس بداخلي حزينًا مختنقًا باكيًا يذرف دموعه في صمت يعلم أنه سيُدفن حيًا بالغد إلى الأبد مع أحلامه منذ نعومة أظافري بقصة الحب الصادقة التي صنته كثيرا من أجل أن أعيشها عند خطبتي؛

ظللت مستيقظة على نفس جلستي حتى الصباح أتقلب بين قلبي وعقلي.

في الصباح شغلتني ترتيبات اليوم عن استجداء وتوسلات قلبي طوال ليلة الأمس، إعداد الفستان ومستلزماته، تأكيد حجز "الكوافير"، التأكيد على حجز "الجاتوهات"، متابعة حضور الأقارب المقيمين في مدن أخرى، وللحق فقد استغرقتني التفاصيل تمامًا، كنت أعيشها كطفلة تقلد الكبار، تطمح أن تكون عروس كبيرة مثلهن، فبالرغم من تخرجي إلا أنني لم أكن قد قاربت من شاطئ النضج ولو حتى من بعيد؛ مرت الساعات ونحن على أهبة الاستعداد وقد فعلت كل ما حَلِمَت به كل طفلة من مكياج، وفستان سهرة كالأميرات، وحذاء ذو كعب عالي، لأول مرة في حياتي أجرب كل هذا؛ فغمرتني السعادة حتى حضر الجميع، وحانت لحظة خروجي إليهم بدأت أشعر ببعض التوتر، جلست بجانبه مبتسمة له وللحضور لم نكن قد تحدثنا من قبل

أي حديث حقيقي فقط سلام عابر من بعيد مرة أو اثنتين، مع مرور الوقت كان إحساسي الطفولي يتلاشى ويخفت صوت عقلي ويتصاعد عويل قلبي وبكاءه كانت لحظة ارتداء خاتم الخطبة أشد ما أوجع قلبي؛ ها أنا أمضي بيدي على شهادة وفاة قلبي وأشيعه إلى مثواه وهو يصرخ، كانت عيناي متعاطفة معه تحمل نهرًا من دموع بذلت مجهودًا لوضع سدود عليها.

في لحظة تمنيت أن أمتلك الشجاعة وأقوم واقفة أقذف بخاتم الخطبة في وجوههم وأصيح فيهم "أنتم كاذبون لقد غررتم بي، لقد أعلنتكم عدم توافر القبول العاطفي والنفسي فصغتم المبرر تلو الآخر، أنتم تعرفون أني لا أحبه، وأنكرتم علي حقي في أن أحب حبًا حلالًا طاهرًا نقيًا أنتظره حتى يأتي، ألم يشرع الزواج لعفة الطرفين ومدهما بما يحتاجانه فأي عفة سيقدمها زواج فتاة رومانسية من إنسان لا تحبه؟، وأي احتياجات سيمدها بها هذا الزواج إذا لم يوفر الاحتياج الأساسي فأي عفة سيقدمها زواج صوري بعيد عن المشاعر كهذا؟ هل تعلمون كم سأجاهد نفسي حتى أمنع قلبي إذا ما تبادر له في لحظة حب ما يبحث عنه منذ الصغر؟ فلن أقبل أن أكون خائنة في لحظة؛ لذا سأدفن قلبي البريء الذي لا ذنب له.

وصَمَتَ قلبي في استسلام الخاسر وقد أُخِذَ أسيرًا ذليلًا في معركة قاسية مع الحياة

كانت تلك الفتاة الخائفة بداخلي تبكيه وتبكي هزيمتها التي هزمتها لها الحياة؛ بينما يرتعد قلبي داخلي خوفًا كعصفور

أنهكه الطيران في يوم ممطر طويل يبحث عن مأوى دافيء آمن يحميه من السقوط إنهاكًا وكان أشد ما يخشاه أن يجد هذا المأوى في عُشٍ غير عُشِهِ الذي هو أشد وطئًا من السقوط إنهاكًا.

ووجد قلبي أحداث الشهور التالية مؤيدة له في ألمه ورفضه؛ لم يستطع أن يخطو نحوه خطوة واحدة، بينما كنت أجبره على ذلك كان هو ينفره تماما؛ كنا متناقضين كَلَّيل ونهار، أو كصيف وشتاء، لم يكن أحدنا سيئًا لكنها القلوب لا نملك قيدًا عليها، والطباع لا نملك تعديلًا لها؛ لذا حَسَمت خلافاتنا المستمرة موقفي فالحياة لن تعاش إلا مرة واحدة فإما أن تكون حياة صحيحة، وإلا فالموت مساويًا لها؛ واتخذت قراري بإنهاء الخطبة.

خرجت من أفكاري على صوت زغاريد قريبات العروس الملتفات حولها يتراقصن في سعادة،

ورَغم أني لم أكن أعرفها معرفة شخصية قبل يوم حضوري فرحها، لكني حسمت أمري وتوجهت إليها في ثقة وهدوء، وتقدمت منها بثبات احتضنتها، وربت على ظهرها في تعاطف؛ كان قلبي يسمع نداء قلبها وهو يحتضنه؛ كانت نظرة عينيها لي تحمل امتنانًا واطمئنانا أن شعر بها أحدهم اخيرًا وهي تشكرني، وتتلألأ في عينيها بريق دمعة كَبَحَتْها.

❖ ❖ ❖

قضبان

انتفض" الأستاذ عبد المنعم" من نومه فزعًا وجلس يلهث متناولًا كوب الماء بجواره يرشف منه رشفات متسارعة ثم يضعه وهو يهُز رأسه بينما ينظر حوله متأكدًا من المكان بعينيه، ثم زفر متنهدًا في ارتياح حينما تحقق من كونه في منزله، مد يده في تلقائية يلتقط ساعته نظر إليها وهو ينقل بصره نحو النافذة تجذبها براعم أشعة الصباح لتنبئه بالوقت قبل ساعته، تململت زوجته في الفراش قائلة له "أهوَ نفس الحلم؟"؛ هز رأسه إيجابًا دون أن ينطق ثم أزاح الأغطية ونهض واقفًا، توجه إلى المطبخ وأعد لنفسه كوبًا من القهوة تناوله في هدوء وهو يشعل سيجارة تلو الأخرى قبل أن يتوجه لحلاقة ذقنه التي لم تكن تحتاج لحلاقة فعليًا؛ إذ لا يمر يوم واحد دون أن يحلقها؛ فالانضباط يبدأ من مظهر ذقنه كما يردد على مسامع ابنه دائمًا، والذي يتعجب من تركه لشعيرات ذقنه تستطيل مُصِرًا على أنها الموضة، "هذا الأرعن لن ينضبط أبدًا وسيظل فاشلًا طوال عمره" قالها في حسرة وهو يجفف وجهه ويديره في عدة اتجاهات أمام المرآة؛ يتأكد من دقة حلاقة ذقنه.

نظر في ساعته يطمئن أن الوقت يسمح بكوب آخر من القهوة، تناوله ثم شرع في ارتداء ملابسه وهو يتحقق في حرص من دقة كَيّ كل قطعة بعد ارتداءها، تساءل مع نفسه "هل

وضـع المكوجي "الفودرة" حتى لا تتكون اللمعة السـخيفة على بدلتـه الفاخـرة أم أنه أهملهـا؟" ، "الويل له لو أنهـا كانت تلمع"؛ أسـرع يضئ مصباحًـا إضافيًا ويقرب البدلة مـن النافذة؛ يتحقق ببصـره من صحة أو خطأ أفكاره وهو يتوعد المكوجي بأشـد التعنيف، لكن سرعان ما ظهرت براءة "المكوجي" من اتهاماته الخفية، ارتدى رابطة العنق التي كان قد وقع اختياره عليها منذ المسـاء وهو يعيد في ذهنه الكلمة التي سـيُلقيها أثناء تكريمه وينظـر فـي المرآة إلـى تعابيـر وجهه ومقـدار ابتسـامته متخيلًا زملاءه ورؤسـائه أمامه؛ ترى هل سـيتلعثم أمامهم، هل سـيخونه عرقـه ليفضح توتره، لابد أن يكـون صوته مرتفعًا قويًا لا يظهر فيه أي ارتعاش.

أثنـاء طريقـه إلى العمل كان صـوت مطربتـه المفضلة يغرد بأجمل أغنياتها عبر أثير الراديو في سيارته، لكن انشغال عقله كان يعمي أذنيه عنه؛ إذ كانت الأفكار تنهمر على عقله تباعًا بداية من قلقه على مستقبله ومستقبل أسرته بعد بلوغه المعاش، ومرورًا بابنه طالب كلية الهندسة الذي لم يمهله الوقت أن يضمن لـه وظيفة قبل أن يتـرك هو عمله ونفوذه مثل باقي إخوته الأكبر منه سـنًا، كان يسـأل نفسـه هل يعي هذا الولد المسـتهتر قلقه عليه؟ هل يشغل نفسه بالأساس الخوف على مستقبله؟

كانت الأفكار تتداعى على عقله تباعًا متسارعة مضطربة، ولكن ما كان يجثم على صدره هو هذا الكابوس الذي يطارده يقـض مضجعه في منامـه، وتطارده صوره فـي يقظته لماذا يرى

نفسه سجينًا خلف هذه القضبان؟ لم يرتكب في حياته ما يدعو للتحقيق معه عوضًا عن سجنه، لم يرتكب حتى مخالفة مرورية واحدة، هو مثال للانضباط والالتزام في حياته الخاصة والعملية؛ فلماذا تطارده هذه القضبان في نومه وتلاحقه في يقظته فتنغص عليه صفو حياته؟،

تساءل مع نفسه ولكن أين هذا الصفو؟؛ فحين يكون في عمله يكون في شدة التركيز؛ خشية أن يقع في أي خطأ أو سهو يودي به خلف تلك القضبان التي تنتظر وقوعه أسفل فكيها، وفي منزله يظل ينظر إلى أبنائه كيف يؤمن مستقبلهم؟ كيف يحميهم من أي خطر؟ كيف يعلمهم الانضباط؟، بينما هؤلاء الأوغاد الذين يغفلون ما يحيط بهم في الحياة من الأخطار يستمتعون بحيواتهم.

بوصوله إلى مقرعمله أزاحت أحداث اليوم هذه الأفكار جانبًا كان يمضي إخلاء الطرف وهو يتنفس الصعداء؛ إذ معنى هذا أنه يبتعد عن ما يقوده خلف القضبان التي تطارده ها قد انتصر عليها اخيرًا.

أثناء حفل التكريم كان يتبادل مع زملائه السلام والابتسام، بينما عقله في مكان آخر يمرر ذهنه بكل ورقة وقَّع عليها، هذه الورقة قبل الأخيرة كانت مثنية ترى هل فيها ما يقلق؟،

لم يسمح له عقله أن يستمع إلى جمل الثناء التي تُلقى عليه، أو أن يشعر بحفاوة وحرارة حب مرؤوسيه وزملائه له في هذه اللحظة.

انتهت أحداث اليوم متسارعة، خرج ينظر إلى المبنى الذي طالما قضى الأيام بين جدرانه ها قد ودعه سالمًا محققًا نجاحه وهرب من فكي القضبان أخيرًا.

توجه إلى كافتيريا قريبة من منزله جلس يحتسي القهوة مدخنًا لفافات التبغ ترى ماذا سيفعل في الأيام القادمة؟ ما الخطوة التالية؟،

أراد أن يتشاور مع أحد أصدقاءه؛ جلس يعتصر ذهنه بحثًا عن أي صديق يجالسه، لكن في حقيقة الأمر لم يكن لديه هذا الصديق، فكلهم إما زملاء عمل أو جيران كل ما يربطه بهم حدود الزمالة والعمل والمجاملات

هل يشاور زوجته؟، وماذا ستفهم هي؟؛ ثم إنه لم يعتد أن يتحدث معها في أي من أموره العملية أو ما يقلقه؛ كيف ستنظر إليه، وكيف سيسيطر عليها إذا أطلعها على أموره وبواعث قلقه؟؛ يجب أن يظل قويًا عاليًا في نظرها،

هل يشاور أحد أبنائه؟ هؤلاء الغر الذين يُصرف لهم كل أمورهم؟ صحيح أنهم تخرجوا من كليات مرموقة، وسعى لتوظيفهم وحذَّرهم من أية أخطاء، وصحيح أن أحدهم لم يصدر منه ما يقلقه أو يشينه لكن من يدري؟،

قَطَع أفكاره صوت ضحكات أسرة على إحدى الطاولات القريبة منه؛ وقع بصره عليهم وابتسم تلقائيًا لأصوات ضحكهم ومداعبات الأطفال مع أبويهم، وسرعان ما انتبه إلى تعارض

الابتسامة مع وقاره وانضباطه؛ فأدار نظره نحو فنجان قهوته ناظرًا إليه مُستعيدًا هيئته الحازمة، بينما تداعب ضحكات الأطفال عقله؛ فيجاهد لكبح ابتسامة تتسلل لترتسم على شفتيه بينما تمر بعقله صور بعيدة لضحكات أبنائه.

كيف مرت السنون سراعًا به فكانت حياته كمشاهد من نافذة قطار يلمحها فقط دون أن يستطيع التحديق أو التأمل بها؟

كان يدور ببصره من خلال نافذة الكافتيريا؛ لفت انتباهه بستاني ينسق ورودًا في متنزه عام في الجوار؛ أدهشه عدم انتباهه لهذا المتنزه من قبل، هل كان موجودًا طوال السنوات السابقة؟، هذه الطفلة التي تركب الأُرجُوحة تشبه إلى حد كبير ابنته عندما كانت في نفس عمرها؛ أمسيات سعيدة كان يمكن أن يستمتع بها مع أسرته في هذا المنتزه، ضحكات متبادلة كهذه التي تتناهى إلى مسامعه كانت لتجمعه مع أبنائه في عالم واحد؛

في هذه اللحظة قفزت إلى ذهنه صورة القضبان التي تطارده في أحلامه وهي تنظر إليه ساخرة منتصرة.

❖ ❖ ❖

أُرْجُوحَة

وقفت تتابع عن كثب تركيب الأُرجُوحة في غرفتها، يتردد في خيالها صوت البحر تتداخل أصوات أمواجه ترتطم بالرمال مع صخب رواده ما بين صيحات، وضحكات، ونداء باعة جائلين تختلط بضائعهم برمالٍ مالحة وصلت إليها من أياديهم حتى لو كانت هذه البضائع من بين المأكولات؛ فهذا قانون اتفق عليه رواد البحر وباعته الجائلين في غير اتفاقٍ لفظي أنَّ ما يُباع عليه لابد وأن يُعتق برماله،

كانت مقاطع من أغنية "حيرت قلبي" تتعانق مع صوت البحر في ذاكرتها؛

سبحت ذاكرتها مع الصوت عبر السنين حتى توقفت عند يوم اختارت الأسرة أن تقضيه على الشاطئ، في واحدة من المرات القليلة المعدودة التي نفذت فيها الأسرة اتفاقها على هذه الزيارة،

حيث أَبَت هي أن تلعب مع أشقائها الأصغر سنًا وجلست بجوار الوالدين تحمل بإحدى يديها كتابًا وبالأُخرى جهاز "مسجل" صغير تستمع من خلاله إلى أُغنية "حيرت قلبي" التي بدت مُستغربة على ملامحها الطفولية في مكان يضج بالصخب والحركة، يتحرر فيه الجميع من قيود وأعباء عام بأكمله من العمل والرسميات؛ فتُدار على الشاطئ عادة الأغاني الحديثة

ذات الأداء الموسيقي الصاخب؛ فتتناسب مع عنفوان الشباب وانطلاقه؛ والتي تبدأ عادة كموضة يستمع إليها الفرد بحكم التعود من كثرة ما صادفته أو تقليدًا لأصحابه؛ حتى لا يكون متخلفًا عنهم في متابعة العصر أو أية أسباب ليست بالتأكيد أسباب فنية على الإطلاق؛

لذا بدا استماع طفلة في الثانية عشر عُمرًا ، وربما في التاسعة مظهرًا لأم كلثوم على الشاطئ مُستغربًا؛ ولكنها كانت تدعي نضجًا لم تقترب حتى من أطرافه من بعيد ، وربما كانت تقلد صورة خيالية في عقلها عن الشاطئ ، أو ربما أرادت التشبه بغادة فاتنة في أحد الأفلام صور لها عقلها الطفولي أنها ستشبهها بهذه الصورة.

وما أكد هذا التصور أن ذاكرتها لم تسجل موضوع الكتاب الذي كان بيدها في ذلك اليوم على الشاطئ؛ فقد كانت تنظر فيه لبضعة دقائق ثم يجذب اهتمامها الصخب والنشاط والحياة حولًا منها كمغناطيس قوي ملائم لسنوات عمرها الصغيرة ، وبينما هي تنظر حولها في اندماج تام لَفَتَ انتباهها سيدة قدَّرت هي من شكلها أنها على مشارف الخمسين من عمرها خلت مقاعد المصاحبين لها فجلست تضع ملابسهم في عناية على ظهور الكراسي بجوارها ثم تطبق المناشف ، وتطمئن أنها أحضرت الطعام بإحدى الحقائب ثم أغلقتها في عناية ، وتطمئن على أغراضهم التي تركوها خلفهم وقفزوا يمرحون في المياه ومن بين تلك الأغراض كان أدوات اللعب على الشاطئ يقتنيها

جميع الأطفال يبنون بها قصور وأشكال مختلفة بالرمال كيفما اتفق لعقولهم ومعرفتهم؛ انحنت السيدة تقترب من الدلو البلاستيكي تلتقطه يداها مع باقي أجزاء اللعبة وهي مبتسمة في شرود ثم انحنت تملؤه بالرمال وتفرغها حينًا ، ثم تمسك بقطعة من الغاب أُلقيت في إهمال على الشاطئ بجوارها؛ فالتقطتها هي ترسم بها أشكال غير محددة الملامح على الرمال حولها ،

كانت عيني الصغيرة تتابعها في تركيز تام؛ فصاحت في أبيها بصوت خفيض "إلحق يا بابا" ، ثم ابتسمت خجلًا وهي تقول له "طنط بتلعب بالرمل" وأشاحت برأسها نحوها؛

فنظر الأب نظرة خاطفة ليفهم ما الذي أثار تعجبها لهذه الدرجة ، ثم استدار إليها مُبتسمًا يقلب عينيه بين وجهها المبتسم في بلاهة طفولية غير مستوعبة وبين الكتاب الذي تشغل يديها به مع المسجل عن اللعب مثل أقرانها ، وقال لها "إيه الغريب في كده؟" ،

ثم أكمل يوضح لها "جايز بتستعيد ذكريات طفولة حنت لها ، وجايز بتعيش لحظة طفولة اتسرقت منها لأي سبب أو مسؤوليات اتحملتها"؛ عادت الفتاة تنظر نحوها وقد تلاشت ابتسامتها تحاول أن تفهم ما يقوله أبيها ، وسرعان ما جذبها صوت إحدى الأغنيات العصرية يتعالى من أسفل شمسية أخرى؛ فاندمجت معها تردد كلماتها بين نفسها ، وانتقلت مع الصوت لمشاهد أخرى يمتلئ بها الشاطئ فتجذب عينيها واهتمامها ، ونسيت تمامًا مشهد السيدة الخمسينية لم تذكره إلا في هذه

اللحظة أثناء تركيب الأُرجُوحة التي قررت أن تشتريها وتُرَكِّبها في غرفتها؛ لتسترد طفولة أخذتها منها مسؤوليات تحملتها لمرض الأم المفاجئ فإدعت تخليها عن طفولة حاولت الحياة أن تسرقها منها؛ بينما أخفتها بداخلها؛ لتعيشها في وقت مناسب.

انتهى العمال من تركيب الأُرجُوحة وانصرفوا، فأدارت هي جهاز المسجل على نفس تلك الأغنية العصرية التي كانت تصل إليها نغماتها على الشاطئ، وجلست تتمايل مع كرسي الأُرجُوحة.

❖ ❖ ❖

حلم

جالسًـا في اسـترخاء على البحر تشـاغله الأمواج مُداعبة بين الفينـة والأخـرى، ويمـر شـعاع وليـد للشـمس كلما انحسـرت الشمسـية بفعـل نسـمات الهـواء، تتراقص ثنايا روحـه مع صوت البحـر فتتعالى معها وتنخفض معهـا و "دوم دوم دوم" أخذه صوت القـرع المفاجـئ فأفزعـه؛ فانتفض جالسًـا وهو يلهـث في عدم استيعاب في أول الأمر وسرعان ما صفى ذهنه مع تعالي الصوت؛ وبدأ يستوعب ما حوله إنه طابور الصباح في المدرسة المجاورة؛ فزفَر متنهدًا، ونظر إلى المنبه بجواره ثم جذب الغطاء؛ على أمل أن يحظـى بنـوم النصف سـاعة المتبقية على اسـتيقاظه، لكنه ظل يتقلب في فراشـه، ثم اسـتدار ونظر إلـى المنبه وأطفأه قبل الخمس دقائق المتبقية على موعد اسـتيقاظه، وقام ليستعد إلى الذهاب إلى عمله.

عـاد من عمله في الرابعة تناول غداءه مع الأسـرة في عجالة، ثم أسـرع إلى السـرير يُمَني عقله المجهد وجسده المنهك بساعة من النوم قبل التوجه إلى عمله الإضافي،

فَـرَدَ الغطاء واسـتلقى أسـفله، وبدأت عيناه تغفو في سـتائر رقيقـة من الضباب و"إزز، إززز.....، إززززز"؛ قفز جالسًـا وهو ينظـر إلـى النافذة فـي غضب إنهـا ورشـة الزجاج أسـفل العقار

المجـاور لمنزله؛ عبثًـا قام يتأكد من إحكام غلـق الزجاج وأن زوجتـه وضعت قطعة من القماش بأسـفل الزجاج قبل غلقه؛ علَّها تقلـل من شـدة الصـوت القـادم، أدار الراديو على أمـل أن يغطي صوتـه على صـوت آلات تقطيع، وبَرْد أطـراف الزجاج، وصوت رمـي القطع المتكسـرة بيـن وقت وآخـر، والذي يختلـط غالبًا بصوت العمال، وصياح التوبيخ،

لم يكن يفكر من قبل أنه سيدير الراديو ويرفع صوته لينام، حتى في أوقات راحتهم يتعالى صوت "الكاسيت" بأغاني صاخبة لا يقل صوت أصحابها بشـاعة عن صـوت الآلات مختلطًا بصوت مزاح العمال وضحكاتهم؛

قـال لنفسـه "ألم يكن مـن الممكن أن تكون الورشـة في منطقة بعيدة عن المنازل"،

صعد إلى السـرير، ووضع رأسه على الوسـادة ثم فرد الغطاء محـاولًا التركيز مع صوت الراديو؛ لكنه الآن أصبح بين شـقي رحى الراديو والورشة، حاول جاهدًا أن يحظى بأي قدر من النوم مسـتعينًا بكل ما يقرأه عن محاولات الاسـتغراق في النوم، وما أن يسـقط عقلـه في غفوة حتـى يرفعه منها أزيز من الورشـة، أو إيقاع إعلان مرتفع في الراديو، حتى رن منبهه الذي كان صوته ضعيفًـا خافتًا مقارنة بالأصوات المحيطة بـه؛ رفع الغطاء وألقاه في غيظ وهو يقوم واقفًا يطفئ المنبه والراديو.

عاد من عمله الإضافي في المساء، رفض تناول العشاء طامعًا

في ميزتين: أن يضيف وقت العشاء إلى ساعات نومه، وأن تكون معدته خفيفة مستعدة لنوم هادئ، ارتدى بيجامته ونظر مبتسمًا إلى السرير في شوق حقيقي وصعد إليه كصديق يقابل صديق عمره الذي فرقته عنه السنون،

متلحفًا بغطائه يتهادى عقله تدريجيًا إلى بوابة الأحلام ويسبح معها "يا سعاااد افهمي إنتي لازم تاخدي بالك" جاءه الصوت وعقله يبحث متسائلًا من هذا الرجل الذي يصيح في هذا الوقت؟، "يا حبيبي أنا آسفة بعد كده هآخد بالي"، تعالى صوت ضربات النار فقفز فزعًا وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا باحثًا عن مصدره؛ ثم كاد أن يبكي إنه صوت تلفاز الجيران، ثم

تناول ثمرة موز؛ لقد قرأ ذات يوم أنه يحتوي مادة تحفز النوم الهاديء، وعاد يحاول النوم مرة أخرى، وكلما غطَّ في النوم مع انخفاض إيقاع الفيلم حتى يرتفع الإيقاع مرة أخرى فيوقظه، وأخيرًا هدأ الصوت، وخَفَت لكن النعاس الذي كان قد فرَّ هاربًا من عينيه ظل يتقلب في فراشه يسترضيه؛ فيتعالى النعاس عليه رافضًا كل محاولاته حتى أذن الفجر؛ قام وصلى، ، ثم أخيرًا رضي عنه النوم فجاءه مصالحًا حتى استيقظ على "دوم دوم دوم".

ظل طوال الاسبوع على نفس المنوال يصبر نفسه بيوم الإجازة الأسبوعي الذي استقبل مساءه فَرِحًا، لم يلتفت كثيرًا إلى صوت تلفاز الجيران حالمًا وممنيًا عقله وعينيه المحمرتين بالنوم لوقت

متأخر غدًا ، وبأحلامه التي سيبحر فيها بعيدًّا عن الواقع،

كان فــي حلمــه يجــري وراء عصابة يســرقون منه شــيئا وهو يحاول إمســاكهم و"تتنن، رررن، أنابييــب"، "بتااع الخااازين يا باااصل".

❖ ❖ ❖

الفهرس

إهداء ٥

مقدمة ٩

حياء ١١

رُبع ساعة ١٥

بالون ٢١

اللعنة ٢٧

قلب أزرق سَمَاوي ٣٥

السيد ٤٥

نوَّة ٥١

نظرة استغاثة ٥٧

قضبان ٦٥

أُرْجُوحَة ٧١

حلم ٧٥